(... وهل هذه الفصاحة والطلاقة إلا نورٌ من عند الله عزَّ وجل استودعه قلبه...
ابن جني يحدِّث عن أبي الطيب رحمهما الله)

خبيئةُ أبي الطيب المتنبي
رحمه الله



تأليف أبي سهيل
عمر بن عبد الله العُمَري
الطبعة الأولى 1446هـ

خبيئةُ أبي الطيب المتنبي
تأليف أبي سهيل عمر بن عبد الله العُمَري

خبيئةُ أبي الطيب المتنبي

"رحمه الله"

تأليف أبي سهيل

عمر بن عبد الله العُمَري

الطبعة الأولى ١٤٤٦هـ

ⓒعمر بن عبدالله بن عمر الغُمري ، ١٤٤٦هـ

الغُمري ، عمر بن عبدالله بن عمر
خبيئة أبي الطيب المتنبي رحمه الله. / عمر بن عبدالله بن عمر
الغُمري - ط١. .- عنيزة ، ١٤٤٦هـ
١٥٠ ص ؛ ..سم

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٣٤٦٣
ردمك: ٨-٣٥٥٣-٠٥-٦٠٣-٩٧٨

مثير البحث

...لهذا وقع في خاطري سؤالٌ يقول: هل لأبي الطيب رحمه الله خبيئةٌ صالحة بينه وبين ربه جعلته يفوق من قبله من الشعراء ولا يدركه من بعده... تعليل هذا القبول والسيرورة بسبب أبكار معانيه أو أنه يعبِّر عن خواطر الناس مأخذٌ ظاهر، لكن الأمر الذي أحب أن أعرفَه وأعرِّفَ به لماذا أُلهم ما أُلهم من خواطر الناس وأبكار المعاني؟

المفتَتَح

اللهم ربّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السَّمواتِ والأرض، عالمَ الغيبِ والشَّهادة، أنت تحكمُ بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، إهدني لما اختُلِفَ فيه من الحقِّ بإذنك، إنَّك تهدي مَن تشاءُ إلى صراطٍ مُستقيم.

(ولما تأملت شعره بعين المعدلة البعيدة عن الهوى، وعين المعرفة التي ما ضل صاحبها وما غوى، وجدته أقساما خمسة؛ خُمسٌ في الغاية التي انفرد بها دون غيره، وخُمسٌ من جيد الشعر الذي يساويه فيه غيره، وخُمسٌ من متوسط الشعر، وخُمسٌ دون ذلك، وخُمسٌ في الغاية المتقهقرة التي لا يعبأ بها وعدمها خير من وجودها، ولو لم يقلها أبو الطيب لوقاه الله شرها، فإنها هي التي ألبسته لباس الملام، وجعلت عرضه شارة لسهام الأقوام.) قاله ضياء الدين ابن الأثير رحمه الله ٦٣٧هـ في كتابه" المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"ج٢ ص٣٤٩ يصف شعر أبي الطيب تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد رحمهما الله.

المقدمة

الحمد لله حمدًا يرضيك عني ويستجلبُ مزيدَ تأييدك، وصلاةً وسلامًا على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠ ﴾ [الإسراء:٨٠] اللهم أدخلني مدخل صدق وأخرجني ومخرج صدق ،اللهم إنَّك قلت: ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴾ [الأنعام:٨٣]، اللهم رب إبراهيم وربي آتني حجتك.

حين عزمت على البحث في أمر هذه الخبيئة فجر الأحد ١/ شعبان/ ١٤٤٥هـ قلت موطنًا نفسي : إنَّ هذا بابُ علمٍ لم أرفيه سابقًا لآخذَ عنه وآنسَ برأيه ، ولم أرَ من خطرت بذهنه هذه الخبيئة فردها فأقف عند قوله ، فهو بابٌ لم أرَ ــ

حسب علمي ـ له والحِجا قبلي ، وهذا فيه من الضَنىَ ما يدمي الأعقاب ويُكِلُّ العينَ من النظر في مصادر أهل العلم ؛ ولكن نعمتْ المشقةُ لنعم المبتغى، لأنَّ لذة وجدان الحقيقة بدليل من أجلِّ لذائذ العلم.

وإنَّ مما دعاني إلى ما بين يديك ما يتجدد من حديثٍ عن سيرورة وقبول لشعر أبي الطيب رحمه الله، فهو يقول معاني أبكارًا لم تفُضض بكارتها ولم يُسبق إليها، ويتحدث عن معاني الناس التي يريدون الحديث عنها؛ ومن عجائب أمره ورفعته أنك لا تكاد تجد جيلاً من أبناء العربية إلا فيهم من شغله شأنُ أبي الطيب بل كُتب عن شأنه في غير العربية وتمكَّن منهم الإعجاب.

لما رأيت هذا قلتُ في نفسي: هل هناك خبيئةٌ بين أبي الطيب وبين ربه رضي الله عنه بها، فحفظت شعره وكَتب له

بها القبول بعد أن ألهمه معاني لم يلهمها من سبقه أو عاصره أو جاء بعده من الشعراء.

والباحث في أمر أبي الطيب سيصاب بالدُوار ويأخذه الإعياء نتيجة ما سيجد من كتب وبحوث ومقالات وخواطر كُتبت عنه، ولكنه في موضوعي هذا سيبحث عن أدلته بتؤدة وأناة ،فيقرأ ما كُتب عن أبي الطيب بنَفَسٍ صبور مجتهد وعينٍ فاحصة تخدم غايته ،فسيجدها شذَرات متناثرة يوجب عليه الأخذ بالدليل نظمَها في عِقدٍ واحد ، ولعلك واجدٌ هذا في الفصل الذي لممتُ فيه دلائل هذه الخبيئة بعد أن وضعتها منثورةً في أعطاف هذا البحث.

تناولتْ الدراسات عن المتنبي جوانب شعره قدحًا ومدحًا، وجوانب شخصيته وجوانب نسبه وطعنوا في دينه وأخرجه الألوسي ـ كما سترى ـ من دينه إذ رماه بإنكار

البعث ، ووضع الجرجاني كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه، ووضع الصاحب بن عباد كتابًا عن مساوئ شعره، وتحقق حقًا ما أُلهمه ابن رشيق القيرواني : ٣٩٠هـ ـ ٤٥٦ ـ رحمه الله ـ بأنه مالئ الدنيا وشاغل الناس، حتى غاصوا على دقيق التحليل حين وضع عبد الرحمن أفندي الشهير بحسام زادة ــ ١٢٨١هـــ كتابًا بعنوان: (قلب كافوريات المتنبي من المديح إلى الهجاء) لكنَّ هذا الكتاب سمينُ العنوان أعْجفُ المحتوى، إلا أنه يسير في مسار إشهارِ أبي الطيب وشُغْلِ الناس به.

وهذا الحد من العناية لم ينله أحدٌ قبله ولا بعده من الشعراء ؛ لهذا وقع في خاطري ما سمعتَ عن الخبيئة.

ولم أرـ حسب علمي ـ من حاول أن يبحث في أمر أبي الطيب عن سببٍ أبعدَ مما تفاضلت به الشعراء من جمال

المعنى ورقة الأسلوب وإصابة الوصف وأبكار المعاني، ونحو هذا ، وتعليل هذا القبول والسيرورة والبقاء بسبب أبكار معانيه مأخذٌ ظاهر، لكن الأمر الذي أحب أن أعرفه وأعرِّفَ به لماذا أُلهم هذا المعاني؟ .

فوقوف التعليل عند قوة شعره لا أراها مقنعةً لي ولا كافية بأن تنهض بأمر هذه الرفعة.

قرأت من شعر الجاهلية وما بعدها فلم أجد تعبيرًا عن المعاني كما وجدته عند المتنبي،وإن وُجِدتْ فهي ليست صفةً ملازمة لشعر الشاعر، بخلاف ما عليه شعر أبي الطيب الذي لا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من معنى مبتكر، أ وخاطرةٍ تهتز لها الأذهان، أقول الأذهان ولا أقول الوجدان ؛ لأنَّ طرب الذهن ينبعث لمعنى عقلي وطرب الوجدان ينبعث لمعنى جمالي ، وغالب شعره وجمهرته من النوع

الأول، وأمَّا ما جاء من روايات في تأنقه في شعره فهي رواياتٌ مقصورةٌ على حسن اختيار اللفظ ودقة المعنى، قال أبوالفتح في مقدمة الفسر: (... فأمَّا اختراعه للمعاني وتغلغله فيها واستيفاؤه لها فما لا يدفعه إلا ضد ،ولا يستحسن معاندته إلا نِدٌّ) وكما روى وهو يناقشه في قوله:

وقد صارت الأجفان قرحًا من البكا وصار بَهَارًا في الخدود الشقائق

قال في الفسر:(سألته عن معنى هذه البيت، فقلت له: أتقول قَرْحى أوقرحًا؟ فقال قرحًا منون ، فقلت ولِمَ ذلك؟ قال ألا ترى أنَّ بعده بهارًا في الخدود الشقائق؟ يريد كما أنَّ بهارًا جمع بَهَارة وهو اسم لا وصف ، فكذلك قرحًا جمع قرحة وهو اسم لا وصف، فعلمت بهذا ونحوه أنه متأنق في صنعة الشعر متأملٌ لأعطافه، غير معتمد على طبعه مجردًا من التنقيح والتهذيب؛ ومعناه أنَّ الأجفان قد قَرِحت وصار

مكان حمرة الخدود صفرة)

وقول أبي الفتح: " ونحوه أنه متأنق في صنعة الشعر " يشير إلى أنه دارسه مرات غيرَ هذه المرة ،وذكر أبوالعلاء مثل هذه العناية بالمعاني.

وحدود هذه البحث لا يدخل فيها دراسة فنية ولا نقدية لشعر أبي الطيب ؛فهي تقف عند ما يخصُّ الخبيئة نفيًا أوإثباتًا، فهي تدخل إلى النص لترى ما فيه من خبايا منثورة عن هذه الخبيئة، وتقرأ النصوص الطاعنة في دينه؛ لتردها أوأن يتأكد منها نفي هذه الخبيئة، فليست الخبيئة مما استقرَّ في الذهن ثم رحتُ أبحث عن دليلها ، وإنما هي لائح لاح في الخاطر فأحببت أن أتحقق نفيه أوإثباته، فأنا لم أدخل هذا البحث بنَفَس اشتهى به وجود هذه الخبيئة فأتعسف دليلاً مثبتًا أو أتجاهل آخر نافيًا، فلم أدخل هذا البحث

معتقدًا جازمًا بهذه الخبيئة، وإنما منقبًا عن صحة ما خطر على البال، فإن وجدت نافيًا أثبته ووقفت عنده، وإلا سرت في بحثي حتى أجد مآلاً أطمئن إليه.

وقد جعلت ساق الكتاب قائمًا على مقدمةٍ وسبعة فصول، فجاء الفصل الأول حديثًا عن الخبيئة، وجاء الثاني عن التنبؤ، وفي الثالث مناقشةٌ لمقالة مثيرة عن المتنبي لحسام الدين الآلوسي ، والرابع وقفة مع طرفٍ من شعر الآلوسي والخامس جردٌ لأدلة إبطال التنبؤ، والسادس جردٌ لأدلة الخبيئة، وختمت الفصول بالفصل السابع وهو بعنوان هوامش دونت فيه ما نبت على ساق البحث وهو ليس من صلبه، وقد جاء خمسة عشر هامشا.

رأيت أنَّ المؤلفين حيال تدوين مصادرهم ومراجعهم في مؤلفاتهم،على أنحاء ثلاثة؛فمنهم من يدوِّن مأخذه

ومصدره تحت الصفحة المذكور بها النص، ومنهم من يجمعها في آخر كلِّ فصل، ومنهم من يضعها مجتمعةً في آخر الكتاب ولكني جريت في هذا وفيما سبقه من مؤلفاتي على سُنةٍ استجزتها حين رأيت صوابها، وذلك أنَّ أجرِّد كتبي من هوامش المصادر والمراجع ،فالجميع في المتن وأعني أني أضع المصادر والمراجع التي استفيد منها مع المتن، وهذا لا يلغي جمع المصادر في مكانٍ واحد.

وكذلك وقع لي أنَّ كثرةً من المؤلفين يضع في هوامشه ما حقه أن يوضع في المتن، ولِمَا وجدتُ في طريقتي من حفظ شتات الذهن وعدم تفرق جمعية القارئ، ويحفظ الغاية التي رمى إليه المؤلف من دلالة القارئ وحفظ حق المأخوذ عنهم، وهذا ثابتٌ بطريقتي تلك، ولعله ـ كذلك ـ إحياءٌ لسنة أسلافنا فنهجهم أنَّ من أراد منهم ذكر مصدره

ذكره بعد المأخذ مباشرة، فعسى أن أكونَ هُديتُ إلى سواء السبيل والله ولي التوفيق، والأمر أوسعُ من أن يجرَّ إلى خلافٍ أو تثريب.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلّم على عبده ورسوله محمد.

أبو سهيل

عمر بن عبد الله العُمَري

صباح الأثنين ١٥/ صفر/ ١٤٤٦هـ

١٩/ أغسطس/ ٢٠٢٤م

في منزلي في حي الأشرفية في

عنيزة

المملكة العربية السعودية.

الفصل الأول

خبيئة أبي الطيب رحمه الله

لئن صحَّ أن نقول إنَّ كلمة أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ٣٩٠ـ ٤٥٦هـ عن المتنبي ٣٠٣ـ ٣٥٤هـ رحمهما الله بأنه مالئُ الدنيا وشاغل الناس، إذا كانت هذه الكلمة من الجديد الذي لم يبلُ وأنها أخذت حظًا وافرًا من الصواب والقبول والذيوع، لئن صحَّ هذا وهو صحيحٌ بلاريب، فإني أقول لأبي علي: رحمك الله أحسنت وأبدعت وتبعك من بعدك وأطبقوا على تقديمه وتنافس الكثير في وده، فقد جاء بعدك ابن شرف القيرواني رحمه الله ٣٩٠ـ٤٦٠هـ فقال في مقامته عن الشعراء: (وأما المتنبي فقد شُغِلت به الألسن، وسهرت في أشعاره العيون الأعين، وكثر الناسخ لشعره، والآخذ لذكره، والغائص في بحره، والمفتش في قعره عن جمانه ودره، وقد طال فيه الخلف وكثر عنه الكشف، وله شيعة تغلو في مدحه، وعليه خوارج

تتعايى في جرحه، والذي أقول: إن له حسنات وسيئات، وحسناته أكثر عددًا وأقوى مددًا، وغرائبه طائرة، وأمثاله سائرة، وعلمه فسيح، وميزه صحيح، يروم فيقدر، ويدري ما يورد ويصدر.)

ثم جاء بعدكما أبو الحسن الواحدي رحمه الله ٤٦٨هـ فحين أعياه تعرُّفُ السبب الشافي لهذا الشيوع قال في شرحه للديوان : (... وما ذلك إلا لبختٍ اتفق فَعَلا، فبلغ المدى) ثم جاء بعدكم القاضي الفاضل٥٢٦ـ ٥٩٦هـ) فنفخ في حقِّ أبي الطيب نفخةً أخذت السبب إلى ما هو أجلى وأغوص فقال: " إن أبا الطيب ينطق عن خواطر الناس" ثم جاء بعدكم أبو البقاء العكبري ، رحمه الله ٦١٦هـ فزاد الحزَّ، إذ لم يكْفِه من كان قبله فقال في مقدمة شرحه لديوان أبي الطيب، في ص ج٤ عن رأيه في الشروح التي قرأها

للديوان:(أما بعد فإني لما التقطت الديوان، الذي انتشر ذكره في سائر البلدان وقرأته قراءة فهم وضبط... بالموصل سنة تسع وتسعين وخمس مئة... ورأيت الناس قد أكثروا من شرح الديوان واهتموا بمعانيه فأعربوا فيه بكل فن وأغربوا... وما فيهم من أتى فيه بشيءٍ شاف ولا بعوَضٍ هو للطالب كاف) ثم قال أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير رحمه الله ٦٣٧هـ في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر عن أبي الطيب في ج٢ ص٣٤٩: (وهو وإن انفرد بطريق صار أبا عذره، فإنَّ سعادة الرجل كانت أكبر من شعره) فهو لم يعزُ رفعة أبي الطيب إلى الشعر خاصة، وإنما إلى سعادةٍ اختص بها، وهي ما أرى أنَّ مأتاها من الخبيئة.

قلت عن قول الواحدي:[وما ذلك إلا لبختٍ اتفق

فَعَلا، فبلغ المدى] لا يمكن أن يُردَّ أمرُ بقاء أثره أو يُقصر على حظٍ محض ـ وإن كانت الحال توشك أن تكونه؛ لأنَّ الحظَّ وحده لا يُتصوَّر أن تُعزى إليه هذه الرفعة المتوارثة. فقد يبقى الحظ ملازمًا لصاحبه حياته،وقد يبقى بعده زمنًا حين يكون له بنون وحَفَدة حاملون لهذه الشعلة ، ولكنَّه منقطع لا محالة حين تضعف عصبية الذرية لأسلافهم بضعف أوانقطاع دفق الماء الموروث في الدماء البعيدة فتترامى مسافات الأزمنة بين الأعقاب ، بل قد ينقطع الحظ بحياة المحظوظ إذا كان حظه بحبلٍ من الناس ، فقد تتغير النفوس ويستحيل القبول نفورًا وعَيْفا، وقد يموتساندُ الحظ ؛و في النهاية فإنَّ المآل في الحظ وحده إلى منتهى ، ففوات الحظ بأمرٍ ما أمرٌ يؤيده الشاهد والتجربة وسنن الكون، وما يُرى من صروف الدهر وغِيَره ،

فكم أممٍ وأفراد أتى عليهم ماقاله النابغة:

أمست يبابًا وأمسى أهلُها ارتحلوا		أخنى عليها الذي أخنى على لُبَدِ

فهذه الديار أتى عليها من صروف الدهر ما جعلها خاليةً بعد العمران، وحلَّ بها ما حلَّ بلُبَد، الذي هو أحد نسور سبعة كانت للقمان، وأنَّ هذا النسر عاش سبعمائة عام، فأصبح مثلاً لانتقاض البقاء والشهرة مهما امتد به العمر، لكن شهرة أبي الطيب لم تنقضِ مع ما مر من سنين هي أزيدُ من عُمْر لبد. ومنتهى الأمر أنّ الحظ العظيم من ثمرات الخبيئة.

وعن وجهٍ آخر من وجوه الحظ يقول أحمد سعيد البغدادي رحمه الله في كتابه: [أمثال المتنبي وحياته بين الأمل والألم] ط٢ص٢(وجدت رجلاً قضى حياته بين همته وحظه ، فكلما حاول بهمته بلوغ المجد دفعه حظه

عنها إلى أبعد حد)

قال أبو سهيل: هذا وإن كان مقصود الحظ هنا غيرَ ما رمى إليه الواحدي، إلا أنَّه يشير إلى مرارةٍ ونكدٍ في حياته، فلم يبلغ من المجد ما بلغه وهو يسعى إليه، وإنما بلغ ما بلغ بعد موته.

فالعُبيدي يقصد بالحظ الغاية التي تتجدد فكلما بلغ غاية دفعته إلى أخرى، أمَّا الحظ عند الواحدي فهو السبب الذي بلَّغه ما بلغ؛ ويؤيد مرمى البغدادي قول أبي الطيب:

وما قضى أحدٌ منها لُبَانَتَه وما انتهى أَرَبٌ إلا إلى أَرَبِ

وابن زريق رحمه الله يحدث عن هذا المعنى بعينيته:

ما آب من سفرٍ إلا وأزعجه رأيٌ إلى سفرٍ بالعزم يزمعه

وقول البغدادي فيه رائحةٌ تُقوِّي الأخذ بالخبيئة، فقد نال حظًا ورفعةً لم يقدر عليهما حيًا.

ونخلص من هذه الأقوال إلى أنَّ الرِّفعة متفقٌ عليها ، والاختلاف في سببها ، وكلٌّ ما ذكر من الأسباب له حظٌ من الصواب.

ولكنَّ ماذا علينا لوقلنا إنَّ هذا البقاء وهذا الرفع للذكر خُصَّ به بسبب خبيئةٍ صالحة بين الرجل وبين ربه ، وهي خبيئة تنقطع الآمال عن معرفتها معرفةً حقة، أو التكهن بها ، فهي خبيئة صالحة وكفى وماتت مع الرجل ودُفنت وبقي أثرها، ولا مطمع في معرفتها خاصة إذاقرأنا عن قدرته على الكتمان عن أخصِّ خواصه، وحين نعود إلى النظر في إفلاته من قبضة كافور مع كثرة الرَّصَد الذين وضعهم عليه ندرك قدرته على كتمان سره ومن الأحق في الكتمان ما بينه وبين ربه، ومن أقرب ما أعزو إليه هذه الخبيئة هو نفوره مما وجد عليه القرامطة الذين سيأتي الحديث عنهم وعن

انحطاط مذهبهم، ومعرفته بمذهبهم وقعت له في مقتبل عمره حين هجومهم على بغداد سنة ٣٢٧هـ وهذا ـ كما سيأتي ـ حين استجاش محمد بن رائق ألفًا من القرامطة فدخلوا بغداد وأكثروا فيها الفساد، وشواهد هذه الخبيئة سأبثها منثورةً في هذا الفصل ثم أجملها مجردةً آخر البحث إن شاء الله.

وهاك طرفًا من أخبار الحسد في حياة أبي الطيب، الذي لو مرَّ بعضه على غيره لأخمله ، لكنها الخبيئة وحسبك بها دافعة، وهذه الأخبار مما ورد في كتاب" المثال والتحول آراء ودراسات في شعر المتنبي وحياته" تأليف الدكتور جلال خياط ١٣٥٠ــ ١٤٢٥هـ رحمه الله ص٢٠ وما بعدها:(وتحقق ما أراد الحساد، ولم يستطع فارس العصر وشاعره، أن يصمد أمام المكيدة والحقد ... ويرافق الحسدُ

أبا الطيب في كلِّ مكان... وكان له مناوئون أقوياء من بين رجال عصره... وتجمعت عند هم طبقات أخرى من الحساد والوشاة واستطاع أحد حاسديه وهو العور ابن كروس أن يفسد عليه ممدوحه بدر بن عمار... واتخذ قوم الهجاء وسيلة للإيقاع به فكتبوا قصيدة في هجاء الحسين بن إسحاق التنوخي ونحلوها أبا الطيب... ومن أعداء المتنبي ابن خنزابة وزير كافور، فقد جرَّ المتنبي على نفسه كثيرًا من الصعاب بمصر، بترفعه عن بطانة كافور ووزيره ابن الفرات المعروف بابن خنزابة)

*العور ابن كروس: هو وزير لدى بدر بن عمار.

والحديث عن أمر الحسد لأبي الطيب يطول ومما لا يحتاج إلى دليل، ولكني أقطعه بمقولة صاحبٍ لأبي الفضل ابن العميد وابن العميد أحد مُحسِّديه ص ٢٣: من

كتاب" المثال والتحول (ومن حساد أبي مُحسَّد ومبغضيه أبوالفضل بن العميد وكان يخاف ألا يمدحه، دخل عليه أحد أصحابه " وقال: فوجدته واجمًا وكانت قد ماتت أخته عن قريب فظننته واجدا لأجلها ، فقلت لا يحزن الله الوزير فما الخبر؟ قال إنه ليغيظني أمر هذا المتنبي واجتهادي في أن أخمد ذكره وقد ورد علي نيف وستون كتابًا في التعزية ما منه إلا وقد صًدر بقوله:

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر		فزعتُ فيه بآمالي إلى الكذبِ

حتى إذا لم يدعْ لي صدقه أملاً		شرقتُ بالدمعِ حتى كاد يشرقُ بي

فكيف السبيل إلى إخماد ذكره؟ فقلت : القَدَر لا يُغالب ، والرجل ذوحظٍ من إشاعة الذكر واشتهار الاسم، فالأولى أن لا تشغل فكرك بهذا الأمر... وأَحَبَّ الصاحب بن عباد أن يمدحه المتنبي فلم يُقِم له وزنا ولم يقصده

فجزع وسخط، واتخذه الصاحب غرضًا يرشقه بسهام الوقيعة ، ويتتبع سقطاته في شعره وهفواته ، وينعي عليه سيئاته) أهـ

قلت :وإخال هذا الحسد من الصواعق الواردة في ميمية العتاب:

ليت الغمامَ الذي عندي صواعقُه	يزيلهن إلى من عنده الديمُ

وهذه الأخبار جمعها جلال خياط من أكثر من مصدر، وإذا كان أبو الطيب ينطق عن خواطر الناس كما وصفه القاضي الفاضل . فقد نطق صادقًا عن خاطره حين قال:

فصرت إذا أصابتني سهامٌ	تكسَّرت النصال على النصال

مات الحاسد والمحسود، والمحسود له فمن الباقي أثره من هؤلاء الثلاثة؟

وأثر الخبيئة وإن قلت بها فهي ليست ملازمةً له في كل

أحواله لكنه مات عليها ، فهي تعلو وتسفل وتتوارى كحاله في هجائه وفجوره في الخصومة مع كافور، وتبرُّمه من الزمان والاعتداد بالنفس والمبالغة في الفخر، وكذلك المبالغة في المدح.

ومن دلائل حظوته وشُغْل الناس به ما ورد في ص٥ من كتاب" رائد الدراسات الأدبية عن المتنبي " تأليف كوركيس وميخائيل عواد:(حفلت المصادر العربية والأجنبية بأخبار المتنبي وشعره، حتى بلغ ما أحصيناه منها في هذا الكتاب، ويدخل في ذلك الكتب والرسائل والمقالات والنبذ التي أفردت له، ما يزيد على ٢٠٠٠ مرجع) والكتاب من منشورات وزارة الثقافة والفنون في العراق عام ١٩٧٩م.

قلت: إذا كانت هذه العناية وقعت بهذا التاريخ ، فكم

كُتب عنه بعدهذا ونحن الآن في ١٤٤٦هـ-٢٠٢٤م، وعسى أن يأتي بعدي بزمن من يقول قولتي هذه، حين يرى تجدُّدَ ما حُفظ للرجل من منزلة.

وكان آخر ما اطلعتُ عليه ما صدر من مَجْمَع الملك سلمان العالمي للغة العربية عن ديوانه، جمعه واعتنى به إبراهيم بن محمد بن حمد البطشان، الطبعة الأولى ١٤٤٥هـ

بعد ما أسمعتُك ما سمعت فعسى ألا يكون حرج حين يأتي أبو سهيل في عام ١٤٤٦هـ بعد وفاة أبي الطيب بما يزيد على ألف عام، فيقف قليلاً عند قوله:

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

هذا المعنى رماه أبو الطيب رحمه الله على أهل ذلك المجلس" مجلس سيف الدولة"، فتلقفه أهل زمانه

وعنَّاهم به، وما علم أنَّ الله سيُبقي له الذكر وسَهَرَ الخلق دهرًا طويلاً ما حسب له حسابا، فها هم الخلق يتتبعون الشوارد ويسهرون على فضِّ المعاني ويختصمون في شأنك وأنت لست قرير العين نائمًا بل ميِّتٌ تحت الثرى، فالنائم يدفع عن نفسه حين يصحو والميِّت مرتهنٌ بعمله موكَلٌ أمره إلى الله، وهو معنىً أُلهم إياه ووُلد في حرارة تقاذف الحساد له في مجلس سيف الدولة وخَصَّ به حاسديه في ذلك المجلس، فتحقق ما قال وبقي ما كثًا في الأرض ،وذهب أمر الحسدة جُفاءً، وهذا من عجب العجب، فليس هو المحسودَ الوحيد من ذوي الجاه والمنزلة وليس أولَ من تقادحه الأقران، ودواوين التاريخ والأدب حفظت كثيرًا من هذا الحسد وأفاضت في ذكر المكائد فمات الجميع ومات الذكر بموتهم، ولا أشيعَ في تاريخنا من ذوي الجاه

ذكرَا من البرامكة في زمانهم، الذكر الذي أخمل كلَّ مذكور حتـى الخليفـة أوشـك أن يُخْمَـل فـأين هـم الآن وأيـن ذكرهم؟!.

إذن ماذا علي حين أدفع قول الأشياخ خطوةً أخرى فأقول: إنَّ المتنبي لم تُقلْ ولن تقالَ به كلمةٌ أخيرة ، وهذا الإطلاق جاء بعد ما رأيته في جاري الأيام بعد هؤلاء الأشياخ عليهم رحمة الله، من بقاء وتجدد انشغال الناس به فيوشك أن يكون هذا الشاعر يُعرف عنه جديدٌ في كلَّ جيلٍ من الناس ويكون له أنصار وخصوم، بل لا أجدني مبالغًا حين أقول إنَّ هناك من يعاديه بقصد الشهرة لمخالفته المألوف ، فما أعجب أمرَك أبا الطيِّب.

فكلمة ابن رشيق توصيفٌ للحال العامة لحياة المتنبي وسيرورة شعره . وكلمة . الفاضل تعليلٌ للسيرورة التى ذاع

بها شعره ، وكلمة الواحدي تلمُّسٌ لهذه الشهرة وكلمة العكبري تُفضي إلى أنَّ الجميع لم يقفوا على ما يفي بحق أبي الطيب، وأرماهم سهمًا في نظري وأدقهم إصابة هو القاضي الفاضل .

فكلمته أمسُّ بالنقد، وأكثر إجلاءً لسبب الذيوع؛ فإنَّ النفس تُقبِلُ على من يتحدث عن خلجاتها وتهتزُ لذلك، حتى وإن كان لفظ المتحدث أقلَّ حظًا في البلاغة، فما ترى حين يكون من تَحدَّث ببلاغة أبي الطيب وغوصه على الخاطر؟

ومما يعزز القول بالخبيئة ما قاله عنه ابن جني٣٢٢ ـ٣٩٢هـ ـ رحمه الله ـ في مقدمة كتابه "الفسر" الذي شرح فيه شعر أبي الطيب حققه وقدم له الدكتور رضا رجب : (... ولِمَا كان تأثل بيني وبينه من وكيد المودة ومستحصد

الشُّبكة، وأنَّني لم أرَ شاعرًا كان في معناه ولا مجريًا إلى مداه ،ولقد كان من الجد فيما يعانيه ولزوم طريق أهل العلم فيما يقوله ويحكيه على أسدِّ وتيرة وأحسن سيرة ، وإن كان في بعض ألفاظه تعسُّفٌ عن القصد في صناعةِ الإعراب من ارتكابٍ شاذٍ أوحملٍ على نادر، فعن غير جهلٍ كان منه ولا قصور عن اختيار الوجه الأعرف له، ومن هنا شبث قومٌ لا دُرَبةَ لهم بعلم العربية بأشياء من ظاهر لفظه إذ لم تكن لهم خبرةٌ بِدُخْلة أمره ، وحقًا أقول: لقد شاهدته على خُلُقٍ قلَّما تكامل إلا لعالم موفق ، فأمَّا اختراعه للمعاني وتغلغله فيها واستيفاؤه لها فما لا يدفعه إلا ضدٌّ، ولا يستحسن معاندته إلا ند).

ومن ثمار دراسة أبي الفتح لأبي الطيب ومتا بعته مايجري قوله: (وما أحسبني رأيت أحدًا يتناكر فضل هذا

الرجل وقتًا من زمان إلا وشاهدته بعد ذلك قد رجع عنه، وعاد إلى تفضيله، وإذا تأملَّت [أيدك الله] هذا من أحوال هذه الطائفة وجدته كما ذكرتُ، وإنما ذلك لسمو مطالعه وخفاء مقاطعه وقوة مادته وشاذ نادته، فإذا أُعمِلتْ فيه مطايا الفِكر، وانتُهِجت له رائق النظر وطال البحث عنه، وتكرر التأمُّل له خرج على ذلك خروج المشرفي على صقَّال ولم يسعِ العذول غير تفضيله على كل حال)

وقول أبي الفتح: (إذ لم تكن لهم خبرةٌ بِدُخْلة أمره) في رأيي أنها كلمة ثرية نستشفُّ منها معرفته بشيءٍ من خبء أبي الطيب وسريرته، وهذا نصٌ نفيس ينبغي الوقوف عنده وتحليله واتخاذه منارةً لصالح خلقه ودليلاً على خبيئته، فهو يتحدث عن سريرته التي استشفها أوأفضى إليه أبو الطيب بشيءٍ منها .

والتاريخ يحدثنا كثيرًا عن أناس ملؤا حياتهم بما ر فعهم ولكنَّ سرائرهم ليست بذاك، فإمَّا أنَّ الخمول أدركهم وهم أحياء أو أنهم مات حظهم معهم.

والحديث عن سريرة غيرك وتزكيتها يتحاشاه أهل الفضل إلا ببينةٍ هم منها على يقين ، ولعل هذا من قول عثما رضي الله عنه حين استشاره أبو بكر في تولية عمر ـ رضي الله عنهما ـ من بعده إذ قال عثما: (عمر رجل سريرته خيرٌ من علانيته) ومستند عثمان في هذا أنَّ القرآن نزل موافقًا لرأي عمر في أكثر من وقعة،وعمر قال عنه صلى الله عليه وسلَّم: (لقد كان فيما كان قبلكم من الأمم ناسٌ مُحدَّثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر) أي : ملهمون، والأمر عندي لا يفضي إلى رفع أبي الطيب ليكونَ عِدلاً لعمر رضي الله عنه ولكنه شاهد يعين على إيضاح

المقصود.

وقال عنه في كتابه الخصائص ج١ ص٢١١ تحقيق عبد الحكيم بن محمد: (وحدثني المتنبي شاعرنا ــ وما عرفته إلا صادقًا ـ قال كنت عند منصرفي من مصر في جماعةٍ من العرب ، وأحدهم يتحدث ، فذكر في كلامه فلاةً واسعة فقال يحير فيها الطرف ، قال : وآخر منهم يلقنه سرًا من الجماعة بينه وبينه فيقول: يحاريحار)

ولعل من دلا ئل الخبيئة وأنه لم يُخلَّد لأجل شعره فقط أَنَّك تمر بالقصيدة الطويلة لا تجد فيها إلا أقلَّ القليل مما يكون معجِبًا يصلح أن يكون معناه بكرًا أو حديثًا عن خواطر الناس أو مثلاً يُتمثَّلُ به.

وفي كتاب " أمثال المتنبي وحياته بين الأمل والألم] لأحمد سعيد البغدادي جمع المؤلف مئتين وستتًا وتسعين

بيتًا جعلها تحت عنوان: " أمثال المتنبي " قرأتها ومع المنازعة في التسليم بها كاملةً لأن تكون أمثالا نادرة، فإنَّ قصْر الاستدلال بها على البقاء والرفعة لا يستقيم إذا قيس بعدد أبيات الديوان التي جاء في مقدمة الواحدي ــ رحمه الله ــ لشرح الديوان أنها خمسة آلاف وأربعمائة وأربعةٌ وتسعون بيتًا ، فالخبيئة هي التي رفعت ذكره وليس الشعرفحسب.

وختمًا فإني لا أرى مندوحةً عن القول بالخبيئة فإذا لم أنجح في إقناع القارئ بوجودها فليس هذا نافيًا لها، ولكنَّه حُجب عنه لغرابته وبُعْده عن الذهن وجِدةِ القول به، ولا يبعُد أن يكون لقصورٍ في إفهامي للقارئ وقصورٍ في تحليلي للدليل ،ولعله إن وجد وحشةً من الرأي أن يغلق الكتاب ثم يدير الأمر بينه وبين نفسه وهو بخلوةٍ وصفاء، فأمر بقاء

ذكر أبي الطيب رحمه الله ذكرًا تتعاقب عليه الأجيال لا يُعزى ـ عندي ـ إلا إليها؛ لأنَّ مقومات بقاء شعره يشترك معه آخرون بل يفوقونه بجمال أشعارهم، وهذه الخبيئة عجيبةٌ من عجائب الهبات، فذكره الذي لا يخلو جيلٌ من الناس إلا وُجد منهم من بذل من قته وعلمه وماله لهذا الرجل، وليس هذا لأحدٍ قبله ولم ينله أحدٌ بعده، كما قال البغدادي في كتابه " أمثال المتنبي وحياته بين الألم والأمل "ص٤ :(فإنَّ ديوان المتنبي كمثل هذا الوجود كلما تناولته ببحث جديد وافاك بعلمٍ مفيد)

الفصل الثاني

الحديث عن التنبؤ

ولا أتجاهل الحديث عن نسبة ادعاء النبوة له، لعلمي بأنَّ هناك من يَبْعُدُ في ذهنه جمعٌ بين نقيضين" رضا الله وادعاء النبوة " إذ لو صح ادعاؤه النبوة فإنَّ هذا يسقط القول بوجود خبيئة بينه وبين ربه؛ فهي قولٌ على الله عظيم.

تتابعت العناية بأبي الطيب حتى إذا وصلنا إلى / ١١ / ١١ / ١٣٥١هـ ــ ٣- ٨- ١٩٣٦م بدأ تصاول الفارسين الأفغاني وشاكر رحمهما الله بشأن نبوته ،وذلك في مجلة الرسالة في أعدادها١٦١ـ ١٦٢ـ ١٦٧ـ ١٧١ـ١٧٢ .

وفي الحديث عن ادعاء النبوة أقول : إنَّ الفجور بالخصومة مما ينفي عنه ادعاءها، فهل سيصغي الناس إلى مثل هذه الدعوى وهم يرون ما يرون مما يعلنه صاحبها من نواقض ومنافٍ تنفي اتصاف صاحبها بها ، ويكفي دليلاً على هذا الفجور إطلالةٌ على هجائه كافورًا، وهو مع

فجوره في الخصومة ضمَّ إليها فُحشًا بالهجاء ،ومثل هذا يقال في قطعته في هجاء ضبة ومع آخرين سيأتي ذكرهم، مع أنَّ كافورًا لم يمنعه حقًا له،ولكنه ماطل وتريث ليستخرج منه مزيدَ مدح، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام منزهون عن هذا الخلق معصومون منه ، وهذا الفجور من نوابت الكِبْر، وهو مدعاةٌ لازدراء الناس له ونفورهم منه ولا أرى أنَّ صفة الكِبْر التي رُمي بها أبو الطيب قولٌ حق ،وإنما هو كما قال عنه الأصفهاني: " وكان المتنبي مُرَّ النفس " ومعناها أنه كان لا يأخذ إلا بأحسن الحَسَن وكان جادًا يستنكف عن مجالس الخاملين، وكان هذا الخلق يتعاظم الناس التخلق به، وهذا مشاهد فإني أعرف من كرام الناس وأفاضلهم من يُرمى بالكِبْر وهو منه بريء ،لأنه لا يألف كل موطن ولا يغشى كلَّ مجلس ولأنه أخذ نفسه بالجد حين اعتاد الناس

على الهزل.

ألقاب الشعراء وغيرِهم مما شاع في تاريخ الأدب واللغة فنُسي الاسم وبقي اللقبُ هو العَلَم على هذا الشخص أوذاك؛ فقليلون يعرفون اسم الشاعر / تأبط شرًا أو الأعشى ، أو الشنفرى أو الأخطل وغيرهم كثير، كذلك العلماء من غير الشعراء، فقليلون يعرفون اسم الأخفش أوالجاحظ أو كراع النمل أو قطرب وغيرهم كثير؛ فلماذا نضيِّق على المتنبي ونقول إنه لُقِّب لأنه ادعى النبوة، ولا نقول لأنه قال:

أنا في أمةٍ تداركها الله غريب كصالح في ثمود

ما مُقامي بأرض نخْلة إلا كمقام المسيح بين اليهود

يُروى عن علي بن حمزة البصري ٣٧٥ هـ رحمه الله أنه قال عن أبي الطيب: (بلوت من أبي الطيب ثلاث خلال

محمودة: وتلك أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط، وبلوت منه ثلاث خصال ذميمة: وتلك أنه ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن) هذه المقولة ردها الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد رحمه الله في مجلة الرسال عدد١٦٤ (... والحق أن علي بن حمزة البصري رجل أراد أن يرمي أبا الطيب بما رمى به أمثالُه أمثالَ أبي الطيب من قبل... وأراد أن يعمي على الناس ويحملهم على تصديقه، فذكر في صدر حديثه أنه بلا منه ثلاث خلال محمودة، وهذه العبارة فيما نعلم من أمر الناس إحدى الدلائل على اختلاق الحديث... وفي الحق أن أعداء أبي الطيب لم يكونوا موفقين فيما رموه به، وأن أبا الطيب نفسه لم يسعفه التوفيق في كل ما جرى على لسانه)

قلت : إنَّ هذه المقولة تحمل أدلة إسقاطها ،وناسجُها

لم يُؤتَ الحجة التي يستطيع بها تغرير القارئ وتهييجه على أبي الطيب، فهل الزنى أواللواط من الشائع في زمن أبي الطيب؟!، حتى نضفيَ عليه زينة الطهارة منهما ونجعلَ عدم مقارفتهما مما يرفعه؟ كذلك من المتواتر في سيرته أنه لا يغشى إلا مجالس الملوك والسلاطين وأهل العلم وهي مجالس لا يليق بأصحابها ما نفي عنه ؛ فزكاته من هاتين الرذيلتين مما يُقطع به وإن لم يقله البصري الذي ما أراد بهذا إلا التعمية عن افترائه، وهذا من استدراج القارئ ومخاتلة التاريخ ، فهو يدَّعي الإنصاف والورع بنفي هذه الصفات عنه ، ولكنه يرمي إلى إلصاقها به، وقد جرت بعض حيل المغتابين الجراحين عند ما يريدون إسقاط فلان إلى أن يقولوا مثلاً: رحم الله فلانًا كان ذا صيامٍ وصدقة إلا أنه لا يعفُّ عن حرام من أكلٍ أو نظرأو إتيان محرم .

فلم يُعهد عن أبي الطيب أنه يغشى مجالس الرذيلة والخنا، وسيأتي بأنه نفر من مجلس المهلبي بسبب تماديه في السخف واستهتاره بالهزل واستيلاء أهل الخلاعة والسخافة عليه.

ولم نر من خصومه من رماه بإحدى هاتين الرذيلتين، ولو وجد الخصوم ـ وما أكثرهم ـ إلى هذا سبيلا لنفخوا به، فهل تراهم تاركي هذا مع حرصهم على ثلبه؟ فلا معنى لنفيها عنه ،إلا أن تكون مقولةَ رجل أراد أن يذمَّ بما يشبه المدح متظاهرًا بالورع ،ثم إنَّ أبا الطيب رجل يحب أن يظهر مفاخره فلو كان بعده عن هاتين الرذيلتين مفخرة لشدابه، لكنَّ بعده عنهما طبعٌ وسجيِّة لا حاجة إلى نفيهما، وهذه المقولة من البصري ـ عفا الله عنه ـ فيها طعنٌ بجيل الناس ذاك ،وهو طعنٌ لم يفطن له البصري حين انتحل هذا

الكلام.

فهذا طه حسين رحمه الله في كتابه" مع المتنبي" ط١٠ ص٩١ يقول : (وكان المتنبي مبغضًا للخمر أشد البغض ممتنعًا عنها أشد الامتناع، يرى أنَّ الإقبال عليها فضلاً عن معاقرتها لا يلائم ما يملأ نفسه من الجد)أهـ

قلت : وتأييدًا لطه حسين فإنه لما كان هذا أمره رأيناه يذكره في شعره:

ألذُّ من المدام الخندريس ... وأحلى من معاطاة الكؤوس

معاطاةُ الصفائح والعوالي ... وإقحامي خميسًا في خميس

فموتي في الوغى عيشي لأني ... رأيت العيش في أرب النفوس

ولوسُقِّيتها بيدي نديم ... أُسرُ به لكان أبا ضبيس

الخندريس الخمرة القديمة، الخميس الجيش، أبو ضبيس صديق لأبي الطيب حسب رواية أبي الفتح في

الفسر، ومعاطاة الثانية خبرٌ لألذ التي في البيت الأول.

وقال:

تَسُــرُّ خَلِيْلَــيَّ المُدَامَــةُ وَالَّــذِي بِقَلْبِــيَ يَــأْبَى أَنْ أُسَــرَّ كَــمَا سُــرَّا

ونحــن نقبــل إعــلان هــذا الــبغض وهــذا التبـرؤ لأنَّ معاقرتها مما شاع فلا بد أن يُنزِّه نفسه عن هذا السقوط، وتأمَّل قول طه حسين: (لا يلائم ما يملأ نفسه من الجد) فإنك واجدٌ فيه ما يعين على إسقاط مقولة البصري، وهذه الأبيات تدلُّ على أنه لو كان تركُ ما قاله عنه البصري فضيلة لذكره في شعره فما أسرعه إلى ذكر محامده.

ثم ألقِ نظرةً إلى ما يفاخر في معاقرته:

أفكــــر في معــــاقرة المانيــــا وقَــوْدي الخيــلَ مُشْــرِفةَ الهــوادي

فهل ترى لمقولة البصري من باقية؟

وفي بحث بعنوان: [أثر النشأة الكوفية في شعر المتنبي]

للدكتور ستار عبد الله جاسم، منشورٍ في مجلة اللغة العربية وآدابها جامعة الكوفة تشرين الأول٢٠١٨/ مجلد ١ عدد٢٨ ص١٦٣:(... سادسًا الأثر الديني لا يخفى أنَّ للكوفة ثقلاً دينيًا مهما منذ تمصيرها ... يضاف إلى ذلك كثرة المساجد وحلقات الدرس وتأثير بعض الطبقات الدينية، وما كان يدرس من علوم الدين ذلك كله كان المتنبي ملازمًا له وعلى احتكاك به فتأثر به وتسرب ذلك التأثر إلى شعره بطبيعة الحال ، وتجلى بمظاهر ومضامين إسلامية كثيرة منها الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والدراية ببعض ما يتصل بالفقه والتصوف)

عودة إلى الحديث عن التنبؤ، فأقول مفتتحًا بما ورد في مجلة الرسالة العدد١٧٠ : قال سعيد الأفغاني رحمه الله ١٧٠(وأنا غير مطمئن إلى قول ابن جني في سبب تلقيب

أبي الطيب بالمتنبي، فإن ابن جني مفرط في حبه لصاحبه والدفاع عنه وهو متهم فيه)

قال أبو سهيل: ويرى ابن جني أنَّ تلقيبه كان بسبب قوله:

أنا ترب الندى ورب القوافي		وسمامُ العدى وغيظ الحسودِ

أنا في أمةٍ تداركها الله		غريب كصالح في ثمود

قلت :والتزكية لا تدفع بهذا الظن فهي يقينٌ وقع عليه ابن جني بطريق الصحبة ومطاولة الجلوس بين الرجلين ومدارسة شعره ولا يعدل عنها إلا بيقنٍ أقوى منها، و لئن كان ابن جني مفرطًا في حب المتنبي، فليس حبه بدافعٍ له لأنْ يقول عنه خلاف ما يعلم أو ينتقده فيما يرى فيه من عيب ، فها هو مع شيخه أبي علي الفارسي رحمه الله ، وهو أشدُّ مغالاةً فيه وحبًّاله من أبي الطيب، ويرى له عليه من

الفضل ماليس لأبي الطيب، ومع هذا نجده ينتقده في بعض المسائل، ورد في كتاب " أبو علي الفارسي في مصنفات ابن جني" ص١٩ تأليف/ رحيم جمعة علي الخزرجي : (ينتقد عمل شيخه في كتاب" الحجة " ويعتذر له بقوله: فإنَّ أباعلي ــ رحمه الله ــ عمل كتاب الحجة في القراءات فتجاوز فيه حاجة القراء إلى ما يجفو عنه كثير من العلماء) وفي ص٢٠ نجده لا يتحرَّج من رد رأي لأبي علي: (كان أبو علي يقوِّي قول أبي الحسن في نحو قولهم إني لأمرُّ بالرجل مثلك: إنَّ اللام زائدة حتى كأنه قال : إني لأمرُّ برجل مثلك لما لم يكن الرجل مقصودًا معينًا... واعلم أنَّ هذا القول من أبي علي غير مرضي عندي)

وجرى هذا أيضًا على أبي الطيب، فمن مآخذه عليه عيبه لفظًا في هذه البيت.

قد شرَّف الله أرضًا أنت ساكنُها وشرَّف الناسَ أن سوَّاك إنسانا

قال ابن جني: لا يعجبني قوله:" سوَّاك إنسانا" لأنه لا يليق بشرف ألفاظه، ولوقال : "أنشاك " أو نحو ذلك لكان أليق.

وقال عنه في مقدمة "الفسر: (... وإن كان في بعض ألفاظه تعسُّفٌ عن القصد في صناعةِ الإعراب من ارتكابٍ شاذٍ أوحملٍ على نادر، فعن غير جهلٍ كان منه ولا قصور عن اختيار الوجه الأعرف له)

بل إنه يتعاظم ما وقع فيه أبو الطيب من خطأٍ حين يكون فيه مسٌ للدين، فقد قال عن البيت الذي يقول فيه المتنبي:

يترشفن من فمي رَشَفَاتٍ هن فيه أحلى من التوحيدِ

قال: وكان يُنشِدُهُ أيضًا هن فيه حلاوةُ التوحيد،

واستغفر الله مما يكره ومعناه أحلى من التوحيد بالقلب) أهـ، وهذا البيت في كتاب الفسر من القصيدة ٦٢ .

وقال عن بيتٍ وقع في القصيدة ٢٦١ من الفسر.

ونَصْفي الذي يُكْنَىَ أبا الحسن الهوى   ونرضي الذي يُسْمى الإلهَ ولا يُكْنىَ

قال: ليس في هذا البيت طائل وآخره بارد.

وأرى أنَّ المطاولة في التحليل لا طائل وراءها، إذ البيت من مبالغات الشعراء الداخلة تحت قوله تعالى عن الشعراء: ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء:٢٢٦]، ولا يُنكر عليهم هذا لأنه من سننهم، ورسول الله صلى عليه وسلَّم لم ينكر على حسان رضي الله عنه حين قال في مناسبة مقدسة وهي فتح مكة حيث افتتح همزيته بالغزل والتغني بالخمر.

عَفَت ذاتُ الأَصابِعِ فَالجِواءُ   إِلى عَذراءَ مَنزِلُها خَلاءُ

دِيـارٌ مِـن بَنـي الحَسـحاسِ قَفـرٌ   تُعَفّيهـا الـرَوامِسُ وَالسَـماءُ
وَكانَـت لا يَـزالُ بِهـا أَنـيسٌ   خِـلالَ مُروجَهـا نَعَـمٌ وَشـاءُ
فَـدَع هَـذا وَلَكِـن مَـن لَطيـفٍ   يُـؤَرِّقُني إِذا ذَهَـبَ العِشـاءُ
لِشَـعثاءَ الَّتـي قَـد تَيَّمَتـهُ   فَلَـيسَ لِقَلبِـهِ مِنها شِـفاءُ
كَـأَنَّ خبيئـةً مِـن بَيـتِ رَأسٍ   يَكـونُ مِزاجَهـا عَسَـلٌ وَمـاءُ
عَلـى أَنيابِهـا أَو طَعـمَ غَـضٍ   مِـنَ التُفّـاحِ هَصَّـرَهُ اِجتِنـاءُ
إِذا مـا الأَشـرِباتُ ذُكِـرنَ يَومـًا   فَهُـنَّ لِطَيِّـبِ الـراحِ الفِـداءُ
نُوَلّيهـا المَلامَـةَ إِن أَلَمنـا   إِذا مـا كـانَ مَغـثٌ أَو لِحـاءُ
وَنَشـرَبُها فَتَترُكُنـا مُلوكـًا   وَأُسـداً مـا يُنَهنِهُنـا اللِقـاءُ

قال في القصيدة الخامسة والعشرين حسب ترتيب أبي الفتح:

وأبهـر آيـات التِّهـامي أنـه   أبو كم وإحدى ما لكم من مناقب

ثم قال في الشرح:(يريد بالتهامي النبي صلى الله عليه وسلَّم، وقد أكثر الناس القول في هذا البيت ، وهو في الجملة شنيعُ الظاهر، وقد كان يتعسَّف في الاحتجاج لهُ والاعتذار منه بما لست أراه مُقنعًا ، فأضربت عن ذكره)

وقال عن قول أبي الطيب:

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مثل الذي الأفلاك فيه والدنا

وأفرط جدًا؛ لأنَّ الذي الأفلاك فيه والدُّنا هو علم الله، والله سبحانه يتعالى عن ذلك علوًا كبيرا

فهذه شواهد تدفع عن ابن جني مظنة المداهنة والمحاباة.

ومما أصنفه حديثًا إخوانيًا وبثًا حميميًا وجدانيًا ونقدًا مؤدبًا ،ما داربين أبي الطيب وأبي الفتح ما جاء عند يوسف البديعي ١٠٧٣هـ رحمه الله في كتابه الصبح المنبي تحقيق:

مصطفى السقا ، محمدشتا، عبده زيادة عبده رحمهم الله ص٩٩ـ١٠٠) قال أبو الفتح ابن جني: كنت قرأت ديوان المتنبي عليه، فلما وصلت إلى قوله:

أغالب فيك الشَّوقَ والشَّوقُ أغلب وأعْجَبُ مِن ذا الهجر والوصل أعجب

فلما انتهيت إلى قوله:

لحا الله ذي الدنيا مُنَاخًا لراكب فكلُّ بعيدِ الهم فيها معذبُ
ألا ليت شعري هل أقول قصيدةً ولا أشتكي فيها ولا أتعتَّبُ
وبي ما يذود الشعر عني أقلُّه ولكنَّ قلبي يابنة القوم قُلَّبُ
وأخلاق كافورٍ إذا شئتُ مدحه وإن لم أشأ تُملى علي وأكتبُ
إذا ترك الإنسان أهلاً وراءه ويمَّم كافورًا فما يتغربُ

فقلت له : يعزُّ عليَّ أن يكون هذا الشعر في ممدوحٍ غيرِ سيف الدولة، فقال حذَّرناه وأنذرناه، فما نفع فيه الحذر، ألستُ القائل فيه:

أفالجود أعطِ الناسَ ما أنت مالكُه أخا ولا تعطينَّ الناس ما أنا قائلُ

فهو الذي أعطاني لكافور بسوء تدبيره وقلة تمييزه.

قلت: فالشطر الثاني فيه تنبيه لسيف الدولة ألا يضطر أبا الطيب إلى نقل القول إلى ممدوح آخر.

قال أبو سهيل :وإن كنت أرى أنَّ قوله: [فكلٌّ بعيدِ الهم فيها معذبُ] فيها رائحة هجاءٍ لكافور، أي أني اضطُررتُ لمدحك ، وأنَّ هذا المدح فيه تعذيبٌ لي، حيث وضعته عند من لا يستحقه لكن بُعْد الهمِّ ويعني به الرغبة با لولاية يعذبني لأن أمدح من ليس أهلاً للمدح، وردُ أبي الطيب[فقال حذَّرناه وأنذرناه، فما نفع فيه الحذر فهو الذي أعطاني لكافور بسوء تدبيره وقلة تمييزه.] يوحي بما ذهبتُ إليه، وهذا أيضًا يضاف إلى قلب بعض مدائحه هجاء.

سعيد الأفغاني : في عدد الرسالة (١٦١): (وسأعتمد في

قص الحادث (يعني النبوّة) على أبي العلاء خاصة، لفضله وتحريه وقرب زمانه)

قوله: لفضله وتحريه وقرب زمانه هذه الأوصاف هي بابن جني ألصق وأليق، وماذا لوقلنا: وسنعتمد في قص الحادث (يعني النبوّة على ابن جني؟ ، ثم إنه لا مداناة بين شهادة أبي الفتح وبين شهادة أبي العلاء، مهما سوَّغها الشيخ ، فشهادة أبي الفتح شهادة رجل عاين المشهود له وجالسه وأطال الحديث معه، وسمع إنشاده ورأى تغامز وتهامز حساده ،وقال المتنبي عن أبي الفتح: إنه أعلمُ بشعري مني، وهذه القولة كافيةٌ بأن تغريَ الدارس بتقديم رأي ابن جني على غيره وأن يأخذ به، وأمّا المعري فكلامه عن المتنبي من باب: الرواية و حُدِّثت، لا من باب قال لي وقلت له وسمعت منه وسمع مني، وكلمة" لفضله "أراها

فضفاضة على أبي العلاء إذا قيس بفضل أبي الفتح، كذلك و" لتحريه" فلا نجد لأبي العلاء فيما قرأنا لهما ما نجده لأبي الفتح؛ والتحري عند ابن جني هو الذي أخذه إلى تفضيل اللسان العربي على غيره كما ورد في كتابه الخصائص قال في ج١ ص ٢١٤و٢١٥:(... وذلك أننا نسأل علماء العربية ممن أصله عجمي وقد تدرَّب بلغته قبل استعرابه ، عن حال اللغتين ، فلا يجمع بينهما ، بل لا يكاد يقبل السؤال عن ذلك لبعده في نفسه وتقدُّم لطف العربية في رأيه وحسه؛ وسألت غير مرة أبا علي ـ رضي الله عنه ـ عن ذلك فكان جوابه عنه نحوًا مما حكيته... ولم نر أحدًا من أشياخنا فيها ـ كأبي حاتم ، وبُنْدار، وأبي علي وفلان وفلان ـ يسوون بينهما ولا يقربون بين حاليهما، وكأنَّ هذا موضعٌ ليس للخلاف فيه مجال، لوضوحه عند

الكافة، وإنما أوردنا منه هذا القدر احتياطًا به واستظهارًا على موردٍله عسى أن يورده)

ولنعرف وهَن رواية المعري أنقل فقراتٍ مما قاله الأفغاني في مجلة الرسالة١٦١ : (فلنصغ إلى أبي العلاء المعري في رسالة الغفران يحدث عن معجزات نسبت إلى أبي الطيب،قال: وحُدِّثتُ أن أبا الطيب لما حصل في بني عدي وحاول أن يخرج فيهم قالوا له وقد تبينوا دعواه: (ههنا ناقة صعبة فإن قدرت على ركوبها أقررنا أنك نبي مرسل ... ثم سكن نفارها ومشت مشي المسمحة، وأنه ورد بها الحلة وهو راكب عليها، فعجبوا له كل العجب، وصار ذلك من دلائله عندهم ... وحدث أيضًا أنه كان في ديوان اللاذقية، وأنَّ بعض الكتاب انقلبت على يده سكين الأقلام فجرحته جرحًا مفرطًا، وأن أبا الطيب تفل عليها

من ريقه ... فبرئ الجرح، فصاروا يعتقدون في أبي الطيب أعظم اعتقاد ويقولون هو يحيي الأموات ... وحدث رجل كان أبو الطيب قد استخفى عنده ... فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل، ولقيهما كلب ألح عليهما في النباح، ثم انصرف، فقال أبو الطيب لذلك الرجل وهو عائد: إنك ستجد ذلك الكلب قد مات، فلما عاد الرجل لقي الأمر على ما ذكر)

ثم قال الأفغاني : (هذا ما ذكر المعري من معجزاته وقد ذكر غيره معجزات أخرى نضرب عنها صفحًا، لبعدها عن العقل ولأن راويها ليس في التثبت بمكان أبي العلاء) وإني أكبِرُ الشيخ سعيدًا ولو لم يكن له يدٌ على العربية إلا مراجعة تحقيق كتاب " مغني اللبيب " لكفاه.

ولكني أقول للشيخ : ليتك أتبعتَ بعضَها بعضًا في

ضرب الصفح والإعراض؛ فرواية المعري أبعد شيءٍ دليلا.

هكذا يؤكِّد لنا الشيخ سعيد إيمانه بصدق رواية هذه المعجزات، ثم يزيد الأمر تأكيدًا على إيمانه بها حين يقول: (وقد ذكر غيره معجزات ... لبعدها عن العقل) ثم يأتي ويزيد في تزكية أبي العلاء في مجلة الرسالة في عددها ١٦٢ : (وحَسْبُ التاريخ شهادة شيخ المعرة) فما رواه المعري يؤيده العقل حسب فهم سعيد! وكافٍ في الإثبات.

أقول هذه ثلاثُ حججٍ يرى الأفغاني أنها واجبةُ التصديق لأنها من المعري الموصوف بما مرَّ، فلننظر في هذه الحجج ونبدأ بسندها ثم بمتونها، فأما السند فهو مصدَّرٌ بعبارة تمريض تقلل من اعتباره والأخذ به شاهدًا على ادعاء أمرٍ عظيم : [حُدِّثت ... وحدَّث رجلٌ أيضا...

وحدَّث رجل كان أبو الطيب...] وهذا يشكك فيها ، فهي في أحسن حالاتها من أحاديث المسامرة وتزجية الأوقات ، أحاديث لا يقصد به إحقاق حق ولا ردُ باطل، واعتماد أبي العلاء على مثل هذه الأخبار يقلل من الثقة برأيه، وإنها لسقطةٌ في مكانٍ سحيق حين يباهي الشيخ سعيد بقول مثل هذا ويتجافى عن قول أبي الفتح.

أمَّا المتون فعن حديث الناقة أقول: ألا يعلم من نقل هذا الحديث أنه يتحدث عن دلائل نبوة لا عن شهامة رعاة الإبل وشجاعتهم ،وقدرتهم على السيطرة على النافر الشرود من الإبل وترويضه، وهل في الأمر معجزةٌ ترقى إلى أن يقال عن صاحبها إنه نبي؟! إنَّ هذا لشيءٌ عُجاب، هذا إن صحت الرواية، والترويض أمر جرت به عادة أهل الإبل باديةً وحاضرة ولا يرفعون أهل الترويض عن منزلة الرعاة

ومُـلاَّك الإبـل ، وأنـا مـن بيئـةٍ صـحراوية تكثـر فيهـا الإبـل ورأيت من عوام الناس من يتمكنون من تـرويض النـافر مـن الإبل، فهل هم أنبياء؟! بل من النساء من يقمن بهذا.

وأما الحديث عن صاحب السكين ، فأقول متى أصـبح الرقاةُ أنبياء؟ هذا على التسليم بصحة الحدث، وهل في هذا الحـدث غرابـةٌ تجعلهـم يقولـون : " هـو يحيـي الأمـوات "؟!وكـم مـن الرقـاة كتـب الله علـى أيـديهم شـفاء الـنفس والبدن، ثم إنَّ الرقاة الذين يعرفهم الناس لم يرقوا بكلام هو من عند أنفسهم بل هو آيات قرآنية وأدعية من السنة.

وأمَّا حديث الكلب فقد كفانـا رده المعـري إذ قـال بعـد أن سـرد الحـدث: (ولا يمتنـع أن يكـون أعـد لـه شـيئًا مـن المطـاعم مسـمومًا وألقـاه لـه وهـو يخفـي عـن صـاحبه مـا فعل.)

فهذا تشكيكٌ من أبي العلاء يسقط دليل النبوة هذا، ثم يزاد هنا أنَّ في قول المعري مطعنًا آخر لا يليق بمن يدعي النبوة، وهو وصف أبي الطيب بالمخاتلة والكذب، فكيف يخفي عن صاحبه ما أخفى؟!

تقول الدكتورة ريتا عوض في ص٣٢ط١من كتابها" الشعر والنبوة/ أبو الطيب المتنبئ بالشعر"(... فليست التهمة الموجهة إلى النبي محمد أنه مجرد كاذب بل إنه شاعر ... فلاتهامه بالشعر رُمي بالكذب) إهـ.

وهذا يعني أنَّ مما استقرَّ في عقول العرب أنَّ الكذب لازم من لوازم الشعراء ، من هنا أرى أنَّ أبا الطيب أبعدُ من أن يغرِّر بنفسه فيدعي النبوة، فلا شك إنْ هو فعل هذا يعني أنَّ الناس ستنفضُّ من حوله وسيخسر وده المخطوب بكونه شاعرًا.

وأخيرًا أقول ما أهون أمرَ نبوةٍ يُستدلُ على ثبوتها بمثل هذا لئن صحَّ هـذا إنَّ الأنبياء إذن لكثير وإنَّ أبا الطيب قد مهَّد الطريق.

فهذه الأخبار الثلاثة أخبار مهلهلة، ومن الضيم للتاريخ وللحقيقة أن نزن هذا القول المنقطع بأقوال أبي الفتح الذي يروي مشافهة عن أبي الطيب؟!

وحديثٌ عن أمرٍ عظيم "ادعاء النبوة" لا يُفصَلُ به إلا بسندٍ موثوق متصل، وعودة إلى ص٩٣من كتاب " الشعر والنبوة في مناقشتها لرأي أبي العلاء :(... أما الأخبار التي يذكرها المعري ويقول إنه حُدِّث بها عن المتنبي ،فلم يُسبق إلى روايتها فيما نعلم، وأوردها غيره ممن ترجم للمتنبي نقلا عنه ، ولئن كان المعري لا يحدد مصدر ما ينقل من أخبار ،فعلينا أن نتذكر أنه لا يؤلف كتابًا في التاريخ

فقد اقتصر تناوله مسألة ادعاء أبي الطيب النبوة وما قال عن عقيدته الدينية على ما جاء في رسالة الغفران) وقولها عن أبي العلاء: (أنه لا يؤلف كتابًا في التاريخ)هذا تنويهٌ لا يقبل من المؤلفة ؛ فهو لا شك يكتب للتاريخ ،فها هي أقواله أُخذت مستندًا على ادعاء النبوة، وإذا لم يكن يكتب للتاريخ فهو يكتب لمن؟!،فأي إنسان يكتب علمًا من حقٍ أوباطل فهو يكتب للتاريخ وسينظر إلى أقواله بهذا المنظار وإن لم يرد هو هذا.

كما يستفاد من قولها: (فقد اقتصر تناوله مسألة ادعاء أبي الطيب النبوة وما قال عن عقيدته الدينية على ما جاء في رسالة الغفران) أنَّ رسالة الغفران ليست مصدرًا للتاريخ، فقراءتها تؤكد أنها حكايات ساقها خيال أبي العلاء، وكفى بهذا مُسقطًا لما جاء بها عن ادعاء النبوة، ورسالة الغفران لا

يخفى أنَّ الخيال من أعظمُ خيوط نسجها، فلا يُعتدُّ بها مصدرًا للحكم .

وقولها: (أما الأخبار التي يذكرها المعري ويقول إنه حُدِّث بها عن المتنبي ،فلم يُسبق إلى روايتها فيما نعلم) هذا يعزز القول بأنها مختلقة.

وقالت في الصفحة نفسها عن رسالة الغفران : (وهي عملٌ أدبي بامتياز حاكَ فيه المعري الشعر والدين والتاريخ والواقع بالخيال في نسيجٍ بديع انفرد بإبداعه)

ثم احترزت من أن يؤخذ كلامها على أنه تشكيك في شك المعري بنبوة أبي الطيب: (غير أنَّ ذلك لا يعني بالضرورة ، أنَّ ما قال المعري إنُه حُدِّث به من أخبارعن المتنبي ،كان وليد خياله وإن كان صاغه بأسلوبه المتميز. فلا يُستبعد أنَّ أهل حلب والشمال الشامي بأسره كانوا يتنا

قلون الحكايات عن المتنبي)

أقول: لكنَّ دليل الاحتراز ظني فقولها: " فلا يستبعد... " لا يرقى إلى دفع الخيال عن خبر المعري، وقولُها: " الحكايات " يدلَّ على أنَّ المعري تَلَقَّط روايته من أفواه العامة لا من رواة ثقات أومن دواوين علماء أثبات، فهو إن لم يكن وليد خياله فقد صاغه بالخيال بأسلوبه الفصيح بعد أن امتلأ منه بألفاظ السوقة، وهذا يُبطل الاحتجاج بحكايات العامة.

ثم ختمت كلامها عما كان من أبي العلاء عن أبي الطيب ص٩٦: (وقد كان المعري مؤمنًا بقدرات شاعره المفضل اللغوية الفائقة وشعريته التي كان يراها معجزة . غير أنَّ التراث القصصي الشعبي كان له الدور الكبير في صياغة صورة متخيلة للشاعر النبي) الجملة الأخيرة تؤكد

طغيان الخيال السوقي على ما رواه أبو العلاء.

وأقول عن المعجزة : هي من الإعجاز ويقصد تعذُّر حصول الأمر وقيامه والإعياء به ثم الخلوص إلى نفي الاقتدار ، وأنه لا يُستطاع من غيرممن جاء به ، فهل يسري هذا على ترويض الإبل وعمل الرقاة وقتل الكلاب؟!

ثم إنَّ مما هو مدون في بعض دواوين الأدب أنَّ أبا العلاء مطعون في دينه بشواهد يرويها الطاعنون، وأنا هنا لا أنفي ولا أثبت هذه المطاعن، وإنما أذكر هذا الشأن لأوازن بين سيرة أبي الفتح وسيرة أبي العلاء عليهما رحمة الله، فسيرة أبي الفتح خلت من الطعن في الدين فهو أولى وأحق بالتصديق.

قلت: ولوسلمنا بمنهج الأفغاني برد القول على صاحبه وعدم الأخذ به لمجرد أنْه يميل لمن قال فيه ذلك

القول، لسقط منا شيءٌ كثير من دلائل الإنصاف، ثم ألم يكن أبو العلاء من محبي أبي الطيب والمغالين به وأنه يرى أنه أشعرُ المحدثين وأنه معجز؟! فكيف نقبله مع هذ ه المغالاة ونرد قول أبي الفتح؟!

في " رسالة الغفران " لأبي العلاء رحمه الله تحقيق الدكتور درويش جويدي، وعند حديثه عن أبي الطيب وردفي ص٢٤٧: (... وحُدِّثتُ أنه كان إذا سئل عن حقيقة هذا اللقب ، قال: هو من النَّبوة أي المرتفع من الأرض . وكان قد طمِع في شيءٍ طمع فيه من هو دونه . وإنما هي مقادير ، يديرُها في العَلْوِ مدبر، يظفر من وُفق ، ولا يراعُ بالمجتهد أن يخفق، وقد دلت أشياء من ديوانه أنه كان متألهًا)

فهذا نصٌ من أبي العلاء ينفي ادعاء النبوة كما يشير

إلى اضطراب الروايات عن أبي العلاء في شأن أبي الطيب.

وقال ابن جني في مقدمة الفسر تعليقًا على قول أبي الطيب:

إذا كان شمُ الروحِ أدنى إليكم فلا برحتني روضةٌ وقبولُ

(فأي محدثٍ يتعالى لفظه في عذوبةٍ إلى أن يقول :فلا برحتني ؟ وهل هذه الفصاحة والطلاقة إلا نورٌ من عند الله عزَّ وجل استودعه قلبه؟) ثم قال عند شرحه القصيدة(أي إذا كنتم تؤثرون شمَّ الروح في الدنيا وملاقاةَ نسيمها فلا زلت روضةً وقبولاً، وهي الريح التي تجيء من وراء القبلة نديةً انجذابًا إلى هواكم ومصيرا إلى ما تؤثرونه، ويكون سبب الدنو منكم)

ورد في كتاب" أبو الطيب المتنبي " لشفيق جبري ١٣١٥هـ ــ ١٤٠٠هـ رحمه الله من منشورات مجلة

المجمــع العلمــي العربــي ص ٢٨٥: (... فالفروســية والصـلاح مـن جملـة أخـلاق القبائـل التـي ينتسـب إليهـا المتنبي، والبيان في هـذه القبائـل، إذا أحطنا بهـذا كلـه هـان علينا أن نفهم كلام الذي يقول: وفؤادي من الملوك... فإنَّ الذي ينتسب إلى قبائل فيها شيءٌ لا بل أشياء من الفروسية والصلاح ، وإنَّ الـذي ينتسـب إلـى جدةٍ صـالحة موصـوفة بالحزم لا يستغرب فخره إن فخـر... يكفـي أبـا الطيـب أن يكـون أحـد أهـل بيتـه في القـديم قـد جمـع شـيئًا مـن هـذه الصفات حتى ينتقل إليـه هـذا الشـيء علـى سـبيل الميـراث فـالمرأ يتـوارث محاسـن الصـفات ومقابحهـا عـن أهلـه في قربهم منه وبعدهم عنه... وقـد يتـوارث عـن أحـد أقاربـه في قديم الدهر مهما كان مدى الأيام بينه وبين هـؤلاء الأقـارب متراخيًا فالعرق نزَّاع... ولا عجب في هذا مادام أبـوه جعفيًـا

، وما دامت جدته همدانية وفي جعفي وفي همدان صفاتٌ تشبه صفات أبي الطيب)

وقول جبري " جدةٌ صالحة هذه إشارة إلى ملمحٍ ثري لا شك بتأثيره على عنصر أبي الطيب وصلاحه، وقوله: " وفؤادي من الملوك " يشير إلى قول أبي الطيب:

وفُؤادي مِن المُلوكِ وإِن كا نَ لِساني يُرى مِنَ الشُعَراءِ

وأمَّا أمر دعوى النبوة فقد تحدث عنه جبري وأورد ما عرفه في أمر تنبئه ثم قال:(هذه جملةُ ما يتعلق من الأخبار بدعوى نبوة المتنبي ودعوى علويته وهمه بالخروج وغير ذلك يحار الإنسان في حقيقة الدعوى التي ثبتت عليه، وإنا لنرى ابن جني وهو من أصحاب أبي الطيب يبين لنا سبب تلقيب أحمد بالمتنبي، ونرى أبا عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي يروي لنا قدوم المتنبي اللاذقية وادعاءه النبوة،

ونرى كافور الإخشيدي يصدق دعوى نبوة المتنبي.

وقول جبري : (ذلك يحار الإنسان في حقيقة الدعوى التي ثبتت عليه)أقول دعوى ادعاء النبوة حُسم وأسقط بقول ابن جني ، وكل قول قيل بعد ابن جني يأخذ بقبولها فهو عندي فضولٌ لا قيمة له، ورواية اللاذقي ستأتي مناقشتها من قبل " ريتا عوض " التي انتهت إلى إسقاطها.

وكافور حين يصدقها فتصديقه لها ليس دليلاً على ثبوتها، فكافور مثلُ غيره ممن سمع بهذه الدعوى وقد علل تصديقه لها بخوفه على ملكه، فكأنما هذه الدعوى إرجافٌ بكافور.

ومما ورد عند جبري :(قال أبو علي بن حامد: وكان المتنبي في مجلس سيف الدولة إذا ذكر له قرآنه هذا وأمثاله مما كان يحكى عنه أنكره وجحده ، وقال له ابن خالويه

النحوي يومًا في مجلس سيف الدولة: لولا أنَّ أخي جاهل لما رضي أن يدعى بالمتنبيء لأنَّ معنى المتنبيء كاذب ومن رضي أن يدعى بالكذب فهوجاهل. فقال لست أرضى أن أدعى بذلك وإنما يدعوني به من يريد الغض مني ولست أقدر على المنع)

فهذه رواية صريحة على نفور أبي الطيب من هذا اللقب، وهي دليل واضح على سقوط سبب هذا التلقيب الذي بُلي به، وأنه نبزٌ ينبزه به من أراد إغاظته .

ثم نقل جبري جملةً من أخبار أبي الطيب حين كان في كنف سيف الدولة، وما طفا وطغى من حسد الشعراء وأهل اللغة له، ولم أرمنهم من رماه بدعوى النبوة، وإنها لسانحةٌ ــ لو صحت عندهم ــ لفرحوا بها وشفوا بها ما في صدورهم، لكنهم لم يفعلوا ، فهو في الخبر الأول يقول:

[وإنما يدعوني به من يريد الغض]

وذكر جبري أيضًا أنَّ سيف الدولة طلب بَدْرة فشقها بسكين فمد ابن خالويه طيلسانه فحثى فيه سيف الدولة ، ومدَّ أبو الفرج الببغاء دراعته فحثى فيها، وعفَّ أبو الطيب عن هذا،وسيف الدولة ينتظر منه أن يفعل، فنثرها وتبادر الغلمان فزاحمهم أبوالطيب فرماه الحضور بالحماقة.

قلت: وأنا في شك من صحة مزاحمة أبي الطيب للغلمان، فكيف يعفُّ عما فعله أنداده ويتردَّى إلى فعل الأصاغر؟! هذا إن لم يُسقط وقوع الخبر فهو مطعنٌ يضعِّفه، لكن إن صحّت عفة أبي الطيب فهو تعالٍ في نفسه وهذا هو ما عُهد عنه، فهو القائل في مجلس سيف الدولة وبحضور من حضر من هؤلاء:

وشرُّ ما قنصته راحتي قَنَصٌ شهبُ البزاة سواءٌ فيه والرخمُ

كما ذكر في ص ٥٢٧ــ ٥٣٠ في حديثه عن أخلاق المتنبي: (ومن المحقق أنَّ أبا الطيب كان صادقًا عفيف المذهب ... ولكنَّ مذهبه في اللذات العفة التامة ... فالطعن على أهل العبقرية يذهب جفاءً وتمكث عبقريتهم في الأرض)

في ص ٥٣٠ استدلَّ جبري على إخلال أبي الطيب بالدين واستهانته بأمره ،والظاهر أنَّ الرجل كان على مذهب المتشككين، استدلَّ بقوله:

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم		إلا على شَجَبٍ والخُلْفُ في الشَّجبِ

فقيل تخلُصُ نفسُ المرء سالمةً		وقيل تشرك جسم المرء في العطب

قال أبو الفتح في كتابه" الفسر": (الشَّجب: الهلاك يقال شجب يشجب شجبًا ... العَطَب الهلاك ، يقول : اختلف الناس في كلِّ شيْءٍ إلا في الموت فإنهم قد اجتمعوا

عليه، وقد اختُلف أيضًا في الموت فقيل: إنَّ الجسم يموت والنفس حية لا تموت ،وقيل: بل تموت النفس أيضًا كما يموت الجسم يقول الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] .

وشرْحُ أبي الفتح ينفي نوع التشكيك الذي ذهب إليه جبري، فإن كان شكٌّ عند الناس فأبو الطيِّب ناقلٌ له و ليس شاكًا بنفسه، فهو يقول عن المتشككين: " فقيل تخلُصُ... في العطب"

وهؤلاء كلهم من أهل عصر المتنبي... ونرى المتنبي نفسه إذا ذكرت له النبوة والقرآن ينكرهما مرة ومرة يغالط... وعلى الخصوص فإنَّ المتنبي لم يصرح في شعره بالسبب الذي من أجله حبس، إنما طلب من الوالي أن لا يقبل زور الكلام ... فقد يجوز أنَّ نفسه وسوست له أن

يجعل النبوة سبيلا إلى الملك)

قال أبو سهيل: من العجب الذي لا ينقضي أن ندعَ شهادة شاهد العيان أعني ابن جني وهو الثقة، وصحب أبا الطيب وتدارس معه وعرف دُخلته.

ثم يجري الحديث عن رواية اللاذقي فأقول: أمَّا رواية اللاذقي فقد أسقطها محمود شاكر رحمه الله في كتابه" المتنبي " ص٢٠٧ إذ قال : (أمّا حديث معاذ بن إسماعيل اللاذقي فنقد سنده لا يتيسر لنا لأن صاحبنا هذا اللاذقي مجهول لم نقع له على ذكر) ثم علَّق بما يفيد أنَّ اللاذقية كانت وقت أبي الطيب (موطنًا لفئةٍ من العلويين ومحطًا لكثير من كبار الدعاة العلويين الذين أحدثوا أحداثًا عظيمة في التاريخ العربي كله... وأنت تتبصَّر في أصل الرواية على وَهَنها وتضاربها وتهالك معانيها)إهـ

وهذه الحكاية ناقشتْها أيضًا الدكتورة ريتا عوض في ص١٠٤ وما بعدها ط١ من كتابها" الشعر والنبوة/ أبو الطيب المتنبئ بالشعر": (ويكتفي ابن العديم بالتعليق على هذه الحكاية الطويلة الغريبة بالقول: (قلت: والصدحة التي أشار إلى أنها تمنع المطر معروفةٌ إلى زماننا هذا، أخبرني غير واحد ممن أثق به من أهل اليمن أنهم يصرفون المطر عن الإبل والغنم وعن زرع عدُّوه وأنَّ رعاء الإبل والغنم ببلادهم يستعملون ذلك وهو نوع من السحر.)

قالت:(لا يمكن للباحث أن يطمئن إلى رواية مجهولة المصدر وغريبة الأحداث ... بيد أنَّ هذه الرواية ظاهرة التكلُّف واضحة الافتعال ، فابن العديم لا يذكر إن كانت النسخة التي وقعت إليه من شعر المتنبي نسخة لديوانه

بأسره، أم أنها تقتصر على بعض قصائد وعلى الحكاية التي نسخها منه ، كما لا يخبر أين وجدها ، كذلك يبدو أنه لم يحاول أن يتقصَّى هوية كا تبها بأن يسأل عنه مثلا صاحبه جامع الكتب الواسع الاطلاع ياقوت الرومي الحموي، أضف إلى ذلك أننا لا نجد لهذه الحكاية ذكرًا فيما وصلنا من شروح ديوان المتنبي قبل الشرح المنسوب لأبي البقاء العُكْبَري[٥٣٨ــ ٦١٦] المسمى التبيان على الديوان الموضوع قبل عمل ابن العديم بحوالي خمسة عقود من الزمن ، الذي اكتفى في شرح البيت الذي خاطب به أبو الطيب أبا معاذ بالقول: "هو أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي .ذُكر أنَّ أبا الطيب قدم عليه في اللاذقية سنة ست وعشرين وثلاثمائة ... لا يحدد المتنبي في مقدمة قصيدته من هومعاذ الذ ي يخاطبه ،خلافًا لقصائده الأخرى جميعًا

التي انتقاها وأثبتها في ديوانه ، باستثناء قصيدة في مدح أبي الفضل بالكوفة الذي ظلَّ هو أيضًا مجهولَ الهوية. وقد ورد في إحدى نسخ الفسر لابن جني تعريف معاذ هذا بـ " الصيداوي " نسبةً إلى مدينة صيداء، ويُرجح أن تكون تلك النسبة إضافةً من ناسخ متأخر في الزمن ... لكنَّ من وضع هذه الرواية التي كانت رائجة على ما يبدو في الفترة التي وُضع فيها الشرح المسمى التبيان ثم تلك التي كتب فيه ابن العديم بغية الطلب ، ذهب إلى ما هو أبعد من ظاهر معانيها المباشرة فرأى فيها ادعاءً للنبوة وعمل المعجزات ... أضف إلى ذلك أنَّ الأبيات : " أي محل أرتقي " هي من شعر الصبا الباكر بالكوفة، وليست من شعر المتنبي الشامي، كما ظن كاتب الحكاية... هذه الحكاية التي كُتبت قبل مطلع القرن السابع ، زمن ابن العديم ، وإن كنا لا

نعرف تاريخًا محددًا لوضعها، تدل على ما كان يروج في الشام لقرون بعد موت أبي الطيب المتنبي من حكايات حول نبوته ... لكنَّ ارتباط هذا الشاعر بالنبوة فتح الشهية على اختلاق الأخبار و الحكايات التي تكشف انبهار الناس بظاهرة هذا الشاعر النبي ـ المتنبي)

قالت في هامش ١ ص١٠٦ :(... كذلك تم تعريفه بـ "الصيدواني " في إحدى نسخ الديوان المنشور بعنوان معجز أحمد المنسوب خطأً إلى أبي العلاء المعري. وفي نسخة أخرى منه : الصيداني).

لاحظ أنَّ المؤلفة تسمي أكثر من مرة ما نُقل عن اللاذقي[حكاية] فهي لم تشأ أن ترقى بها إلى الرواية ويبدو هذا لثقل ذلك عليها.

*قولها عن أبي الفضل بأنه مجهول الهوية شكك في

صحة أخذ أبي الطيب عنه الفلسفة.

*قولها: (من شعر الصبا الباكر بالكوفة) ملحظٌ مهم إذا أنَّ الحادثة باللاذقية والشعر مقول بالكوفة!

قالت في ص ١٣٤ عن أبي الطيب: (... ويبدي تبرمه بالكوفيين معللاً ذلك بإشارة مغلفة ومموهة إلى أنهم هم الذين أطلقوا لقب المتنبي عليه)

فهذه مجموعة مسقطات لحاكية اللاذقي:

١ـ رواية مجهولة المصدر وغريبة الأحداث.

٢ـ ظاهرة التكلُّف واضحة الافتعال.

٣ـ لم يحاول أن يتقصَّى هوية كا تبها.

٤ـ أضف إلى ذلك أننا لا نجد لهذه الحكاية ذكرًا فيما وصلنا من شروح ديوان المتنبي قبل الشرح المنسوب لأبي البقاء العُكْبَري.

٥ـ لا يحدد المتنبي في مقدمة قصيدته من هومعاذ الذي يخاطبه ،خلافًا لقصائده الأخرى.

٦ــ أنَّ الأبيات : " أي محل أرتقي " هي من شعر الصبا الباكر بالكوفة، وليست من شعر المتنبي الشامي، كما ظن كاتب الحكاية.

٧ـ هذه الحكاية ... تدل على ما كان يروج في الشام لقرون بعد موت أبي الطيب المتنبي من حكايات حول نبوته.

٨ـ ارتباط هذا الشاعر بالنبوة فتح الشهية على اختلاق الأخبار والحكايات التي تكشف انبهار الناس بظاهرة هذا الشاعر النبي ــ المتنبي.

يقول أحمد سعيد البغدادي رحمه الله في كتابه: [أمثال المتنبي وحياته بين الأمل والألم] ط٢ص١٢٠ وما بعدها:

(نبوة المتنبي ... ما رأيت عجيبةً في التاريخ كاتهام المتنبي بادعاء النبوة، تلك كلمة قيلت عفوًا فنمت واتسعت حتى أصبحت نبوة ذات وحيٍ وقرآن ومعجزات ومبايعة عمت كل مدينة في الشام... ولننظر ما جاء في كتب المؤرخين]

ومن الكتب التي نظر فيها البغدادي كتاب الصبح المنبي للبديعي، وبعد أن نقل رواية معاذ اللاذقي عن هذه النبوة، وأنّ المتنبي تفل على جرح فبرئ وأنه أخبر بموت كلبٍ ألح بالنُباح، وأنَّ الأرض تطوى له ، وأنه ذلل الناقة الشرود قال في ص١٢١ :(هذا خلاصة ما ذكر البديعي ومع ما فيها من ضروب السخف فقد قال بأنَّ معاذًا يقول عن هذه المعجزات بأنها من الحيل التي تعرفها العرب) ثم أفاد بأنَّ معاذًا هذا رجلٌ مجهول وأنَّ البديعي لم يشر إلى ما يدلُّ عليه، وهذا المطعن ذكره محمود شاكر في محاوراته مع

سعيد الأفغاني، فتزداد حكاية اللاذقي سقوطًا.

ثم قال ص١٢١ـ١٢٣ :(وقد بحثت عن هذا الحادث الخطير والانقلاب الذي حدث سنة ٣٢٠هـ في مدن الشام وارتداد أهلها عن الإسلام ومبايعتها لأبي الطيب فما عثرت عليه ... ومما يدعو إلى الريبة في هذه الرواية أنَّ الخطيب والبديعي كلاهما يقول عن روايته إنه لم يبق في حفظه من قرآن المتنبي إلا الجملة التي أولها: [والنجم السيار] فكأنَّ مخترع هذه الرواية وضعها بهذا الشكل ليجعل لها قيمة عند السماع فنقلاها على علتها ونسبها كل منهما إلى روايته)

قف عند قوله: [فما عثرت عليه] و[فكأنَّ مخترع... السماع] ففيهما تبرئةٌ لأبي الطيب من ادعاء النبوة ، فالأولى جاءت نتيجة بحث والثانية من رخاوة المتن.

ثم ضعَّف البغدادي ما يرويه البديعي ، فقال في ص١٢٤ : (قال الثعالبي وحكى أبو الفتح ابن جني قال سمعت أبا الطيب يقول: لُقِّبْتُ بالمتنبي لقولي:

أنا ترب الندى ورب القوافي وسمام العدى وغيظ الحسود

أنا في أمةٍ تداركها الله غريب كصالح في ثمود

هذا هو السبب الصحيح الذي يجب أن يذكر في ترجمة المتنبي عند ذكر السبب في لقبه، ومما يدهش من تصرفات البديعي أنه ذكر هذه العبارة منقولةً عن يتيمة الدهر وهي فصل الخطاب في هذا الموضوع فتجاوزها وأباح لنفسه أن يتوسع إلى أبعد حد بلا حجةٍ ولا تبصر)

قلت: ومن قرأ مقدمة البديعي في "الصبح المنبي" تيقن أنه يتزلَّفُ ويتملَّق بإهانةٍ أضرت في منزلته العلمية، وعُلِم أنه بائعٌ علمه بدنياه، ومما جاء فيها: (لما تشرفتِ

الشهباء بإنسان عين الكمال وعين إنسان الأفضال عَلَم العِلم وطود الحلم ... أحببت أن أتشرف لخدمته بتأليف كتاب... ليكون وسيلةً إلى أن أُعَدَّ من جملة خدامه وأتشرف بتقبيل مواطئ أقدامه ، فينقذني من شرك الفقر ، ويستخلصني من مخالب الدهر ... وإن كنتُ في إهدائه إلى حضرته وسامي سدته كمستبضع التمر إلى هجر... بل كمن أهدى كوز ماءٍ أُجاج إلى بحر فراتٍ عجَّاج) وفي المقدمة من الاستخذاء أكثر مما قرأت.

وقال البغدادي في ص ١٢٧ : (ثالثا زعموا أنَّ بني كلب حاربوا لؤلؤاً مع المتنبي والحقيقة أنَّ بني كلب كانوا يكرهون المتنبي ويسيئون إليه ولم ينصروه في شيء بل أساؤا جواره، وهم الذين عناهم بقوله:

ما مقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود

أنـــا في أمــــةٍ تــــداركها الله		غريـــب كصـــالح في ثمـــود

فشبههم باليهود وثمود وشبه نفسه بالمسيح وصالح عليهما السلام فقال الناس[قد تنبأ في كلب] لأنَّ نخلة من ديارهم فعلق به اللقب.

ثـم انتهى البحث عند البغدادي في ص ١٢٨ إلى : (فمن هذا ترى أنَّ أبا الطيب لقب بالمتنبي ولم يكن ادعى النبوة ،وحبس لاتهامه بالقيام على الدولة ولم يحبس لادعاء النبوة والله أعلم)

وقال الواحدي ـ رحمه الله ــ في مقدمة شرحه لديوان أبي الطيب: (... على أنَّه كان صاحب معان مخترعة بديعة ولطائف وأبكار منها ما لم يُسبق إليها دقيقة، ولقد صدق من قال:

رأى النـــاسُ ثـــاني المتنبـــي		مـــا أيُّ ثـــان يُـــرى لبكـــر الزمـــانِ

هــو في شــعره نبــي ولكــن ظهــرت معجزاتــه في المعــاني

قال أبو سهيل فكما أنَّ النبي يفوق من حوله مـن البشـر بسبب اصطفاء الله له، واختصاصه برحمةٍ منه ووحـي، فـإنَّ أبا الطيب ـ تجوزًا ومبالغة ـ يمكن أن يسمى نبي الشعراء لأنه فاق من عاصره ولـم يلحق بـه مـن بعـده كمـا في البيت الثاني، لا لأنـه نبـيٌ مرسـل مـن الله بـل لأنـه وُهِـب ملكـةً لـم توهب لأحد قبله ولا بعده، ولعلها لأجل الخبيئة التي أقول بها ولن يستطاعَ النصُّ على كنه هـذه الخبيئة لكنهـا عمـلٌ صالحٌ خالص لله، وبهذا الإطلاق نخرج من دائـرة الحـرج بأنَّـه ادعـى نبـوةً خاصـةً بالمرسـلين مـن الله، ولكنـه لقـبٌ صاحبه لأنه فاق غيره من الشعراء.

جاء في ص٣١من كتاب" الشعراء الثلاثة " تأليف نور الدين يوسف نـور الـدين رحمـه الله:(وتـأتي تباشـير الفـرج

بتولي اسحاق ابن كَيَغْلَغ ولاية حمص ، فيرسل المتنبي إليه مادحًا مستعطفًا طالبًا العفو عنه:

بيـدِي أيُّهـا الأميـرُ الأريـبُ ... لا لشـيءٍ إلّا لأنّـي غريـبُ

إن أكُـن قبـلَ أن رأيتُـكَ أخطَـأ ... تُ فـإنّي علـى يـديكَ أتـوبُ

عائِـبٌ عـابني لـديكَ ومنـهُ ... خُلِقَـتْ في ذوي العيـوبِ العيـوبُ

أترى هذا الاستعطاف ؟ وهذا الذل والخضوع ؟فأين النبوة وعظمة حاملها من النزول إلى هذا الدرك من الاستهانة والاستعطاف)

في بحثٍ بعنوان:" نظرة إجمالية في حياة المتنبي" لمعروف الرصافي قدمه وحققه إبراهيم العَلوي رحمهما الله وهو مبحث طويل لا بأس على القارئ ـ إن شاء الله ـ إن نقلته بطوله، فلا محيد عن هذا ،لما فيه من سبب يرد القول بالنبوة لم أره عند غيره وهو تعويله على أنَّ أرض السماوة

من أرض العراق لا من أرض الشام، وأنه من البعيد أن يكون ادعى النبوة ولقي ما لقي ولم يذكرها في شعره ، وشارك غيره بأنَّ هذا الحدث وقع في الصبا: قال في ص٤٤ ـ ٤٧ (لماذا لقب بالمتنبي: أكثر الذين كتبوا عن المتنبي قالوا قولاً مبهمًا إنه ادعى النبوة في بادية السماوة وهي أرض حيال الكوفة مما يلي الشام. فإن صح الخبر، كان ذلك سبب تلقيبه بالمتنبي، لكنه غير صحيح عندي، لأن مترجمي المتنبي اتفقوا كلهم على أنه ولد في الكوفة، ونشأ في الشام، وبها تأدب ونبغ في الأدب، كما ذكرناه فيما سبق. فمن المستحيل عادةً إذن أن يدعي النبوة قبل ذهابه إلى الشام، لأنه إذ ذاك صبي صغير، وإن قيل ادعاها بعد ذهابه إلى الشام ونبوغه في الأدب، قلنا إنَّ ذلك باطل أيضًا لأنَّ السماوة من بلاد العراق، والمتنبي لم يقدم العراق في أوائل

نشأته إلا مرة واحدة. وذلك أنه ورد عليه كتاب من جدته لأمه تشكو شوقها إليه، وطول غيبته عنها . فتوجه نحو العراق ، ولم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك، فانحدر إلى بغداد، وكانت جدته قد يئست منه، فكتب إليها يسألها المسير إليه، فحُمَّت لوقتها سرورًا به، وماتت. فقال المتنبي يرثيها بقصيدته التي مطلعها:

ألا لا أُري الأحداثَ حمدا ولا ذما فما بطشها جهلاً ولا كفها حلما

ثم إنه كرَّ راجعًا إلى الشام، ومدح بعد رجوعه إليها، القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله بن الحسين الأنطاكي، فمتى ذهب إلى السماوة وادعى فيها النبوة؟

ومما يدل على كذب هذا الخبر قولهم إنه لما فشا أمره، خرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الإخشيد فاعتقله زمنًا، ثم استتابه ، وأطلقه. قالوا هذا والسماوة ليست من

أعمال الشام، بل هي من أعمال العراق ، فكيف يخرج إليه والي حمص ويعتقله؟ نعم إنَّ والي حمص قد قبض على المتنبي واعتقله، ولكن سبب ذلك هو خروجه عليه بأرض سَلَمْية من عمل حمص كما ذكرناه سابقًا، لا ادعاؤه النبوة في بادية السماوة، إذا لا حكم لأمير حمص على السماوة.

من هنا نعلم أنَّ هذا الخبر، أعني خبر ادعاء المتنبي النبوة مختلق، وأنَّ الذين اختلقوه أرادوا أن يؤيدوه، بما وقع من اعتقال المتنبي وسجنه، فأبطلوه!! لأن سبب الا عتقال والسجن معلوم كما تقدم.

ومما يؤكد كذب هذا الخبر، أنه لم يرد في شعر المتنبي ما يدل عليه لا صراحة، ولا تعريضًا . ومن البعيد أن يكون المتنبي قد قام بأعباء هذه الدعوة، ولقي في سبيلها ما لقي من الاعتقال والسجن ، ولم يقل فيها شعرا أولم يجئ لها

ذكر في عرض شعره.

وأغرب من ذلك أنَّ بعضهم ادعى أنَّ للمتنبي قرآنا أيضا!! ولا ريب في أنه من الموضوعات بعد المتني، أما السبب الحقيقي في تلقيبه فقوله:

أنا في أمةٍ تداركها اللهُ — غريب كصالح في ثمود

وهذا القول الصحيح فيما أراه، فإنه لمَّا شبه نفسه بالأنبياء في هذا البيت، لقبوه بالمتنبي، حتى اشتهر بهذا اللقب . وقد اشتهر غير واحد من الشعراء قبل المتنبي بلقبٍ منتزع له من بيت من شعره ،كالمُرَقَّش، والممَّزق، وغيرهما. وقد ذكر الجاحظ في(البيان والتبيين)جملةً من الشعراء الذين لُقبوا بألقاب أُخذت من أشعارهم فا شتهروا بها. فلِمَ لا يجوز أن يكون المتنبي قد انتُزِع له هذا اللقب من قوله:

أنـــا في أمـــةٍ تـــداركها الـــلـ ـــهُ غريـــب كصـــالح في ثمـــود؟

قال أبو سهيل: والسبب الأخير هو أدعى الأسباب عندي لشيوعه قديمًا، بل لبقائه في الناس حتى كتابة هذه الحروف ١٤٤٥هـ، فأنا أعرف من طغى لقبه على اسمه الحقيقي فأصبح لا يدعى ولا يعرف إلا بلقبه، حتى إنَّ من الألقاب ما هو مستبشع.

قول الرصافي: (ومما يؤكد كذب هذا الخبر، أنه لم يرد في شعر المتنبي ما يدل عليه لا صراحة، ولا تعريضًا) قلت: هذا رأيٌ يعضده أنَّ أبا الطيب سجَّل أحداث حياته، وإن كانت أقل شأنًا من النبوة، ومن أهون ما سجله حديث الجرذ الذي قال فيه:

لقـــد أصـــبح الجـــرذُ المســـتغيرُ أســـيرَ المنايـــا صـــريعَ العطـــب

رمـــاه الكنـــانيُّ والعـــامري وتـــلاَّه للوجـــه فعـــلَ العـــرب

كـــلا الـــرجلين اتَّـــلا قتلـــه فأيكمـــا غـــلَّ حُـــر الســـلب

وأيُكمـــا كـــان مـــن خلفـــه فـــإنَّ بـــه عضـــةً في الـــذنب

وانظـر إلـى نهايـة الشـطر الثـاني مـن البيـت الرابـع ففيـه تصوير تفصيلي للمشهد.

قال في هواش ص ٤٥ :

(١) السـماوة: قضـاء مـن أقضـية لـواء الديوانيـة في العراق، مشهور يصنع" الأُزُر"

(٢) السـلمية: قضـاء مـن أقضـية(حمـاة) في سـوريا شرقي نهر العاصي.

ونقـل الـدكتور عبـد الوهـاب عـزام عـن ابـن فُورَّجـة ص٢٦٣من كتابه" ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام " : «ولـم يكـن فيـه مـا يشـينه ويسـقطه إلا بخلـه وشـرهه علـى المـال.» فلـم يتعـرض لدينـه ولا لتنبئـه، وهمـا الأحـق فيمـا

يشين.

جاء في ص١٢ من كتاب" الديوان/ ديوان أبي الطيب المتنبي وأخباره" جمعه واعتنى به إبراهيم بن محمد بن حمد البطشان، الطبعة الأولى ١٤٤٥هـ:(قال علي بن عيسى النحوي ٣٢٨ـ ٤٢٠هـ رحمه الله : قال لي أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن : كان يثقل علي أن أدعى المتنبي دهرًا إلى أن أنست به، وقبَّح الله أهل الكوفة يضيقون في الأسماء على أنفسهم فلا يفرقون بين بعضهم وبعض إلا بالألقاب)

ومن كتاب " المتنبي والقرامطة" للدكتور محمد محمد حسين رحمه الله، وهو رقم ٣٤من سلسلة المكتبة الصغيرة، يقول في ص ٥٩ـ ٦٠ بعد أ ن استعرض القول في نفي نبوة أبي الطيب:(ثم إني أضيف إلى ذلك كله أنَّ

المتنبي ـ وهو لقبٌ عُرف به ونسميه به ولا نعني دلالته ـ قد عرف خطر القرامطة وخطر هذه الأنجاس الدخيلة على الأمة وعلى الدين... فليس بمستبعدٍ أن يستقر في نفسه شعور بأنَّ التنبيه إلى خطر هذه الفرقة واجب عليه أن يحمله...ومثل هذا الإحساس شيءٌ مألوف في حياة كثير من المصلحين... ولكنَّ أبا الطيب قد ركب أمرًا عظيمًا بمخاصمة جماعة سرية خطيرة، وكان لا بد من إسقاطه في أعين الناس لكي يَصمُّوا آذانهم عن سماعه) وهنا لفتةٌ من حسين يعزو اللقب إلى معاداته للقرامطة فهم الذين رموه بهذا.

وقول حسين: [قد عرف خطر القرامطة وخطر هذه الأنجاس الدخيلة على الأمة وعلى الدين] يدعوني أن أذكر إيجازًا عن القرامطة، وليكن هذا من أحد ممن كانوا على

مذهبهم فلما تبين له الأمر تبرأ منهم ، وهوالشيخ محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني ٤٧٠هـ، في كتابه "كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم" دراسة و تحقيق محمد عثمان الخشت:

(... إني كنت أسمع ما يقال عن هذا الرجل الصليحي كما تسمعون، وما يتكلم به عليه من سيء الإذاعة وقبح الشناعة ... فرأيت أن أدخل في مذهبه لأتيقن صدق ما قيل فيه من كذبه،ولأطلع على سرائره وكتبه، فلما تصفحت جميع ما فيه وعرفت معانيها رأيت أن أبرهن على ذلك ليعلم المسلمون عمدة مقالته وأكشف لهم عن كفره وضلالته ... فأول ما أشهد به وأشرحه وأبينه للمسلمين وأوضحه أن له نوابا يسميهم الدعاة المأذونين، وآخرين يلقبهم المكلَّبين تشبيها لهم بكلاب الصيد لأنهم ينصبون للناس الحبائل ويكيدون لهم بالغوائل ... و يتلون عليه

القرآن على غير وجهه، ويحرفون الكلم عن مواضعه... قال الله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة:٤٣] . فالزكاة المفروضة في كل عام مرة وكذلك الصلاة من صلاها مرة في السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار... فيوهمون على من لا يعرف... فيقع هذا من ذلك المخدوع بموقع الاتفاق والموافقة لأنه مذهب الراحة والإباحة... يا مولانا! إن عبدك فلان قد عرف الصلاة ومعانيها فاطرح عنه الصلاة وضع عنه هذا الإصر... فيقول: اشهدوا أني قد وضعت عنه الصلاة... فإذا صح عندك حاله فاذهب به إلى زوجتك فاجمع بينه وبينها، فيقول: سمعا وطاعة لله ولمولانا، فيمضي به إلى بيته فيبيت مع زوجته حتى إذا أصبح الصباح قرع عليهما الباب وقال: قوما قبل أن يعلم بنا هذا الخلق المنكوس... حتى إذا جن الليل ودارت الكؤوس وحميت الرؤوس وطابت النفوس أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حريمهم فيدخلن عليهم من كل

باب وأطفأوا السرج والشموع، وأخذ كل واحد منهم ما وقع عليه يده، ثم يأمر المقتدي زوجته أن تفعل كفعل الداعي الملعون وجميع المستجيبين)

ثم قلت: ولعل السر ينكشف لنا في هجاء ضبة ، ويستبين السبب الذي حمل أبا الطيب على هذا الإقذاع في الهجاء ، فنحن نعلم أنَّ عمود الهجاء في الشعر العربي مبنيٌ على الرمي بالبخل والجبن وخفر الجوار، ونحو هذا.

ولهذا الحدث روايةٌ جاء ت في كتاب " الديوان/ ديوان أبي الطيب المتنبي وأخباره " جمعه واعتنى به إبراهيم بن محمد بن حمد البطشان، الطبعة الأولى ١٤٤٥هـ ص٢٣٩

(وكانَ قومٌ مِن أهل العراق قتلوا ابنَ يزيدَ العُتبي ؛ مِن عينِ التَّمرِ ، ونكَحوا امرأته ، ونشأَ له مِنها وَلَدٌ بالعَينِ يُسمَّى ضَبَّةَ ، يَغدُرُ بكلِّ أحدٍ نَزَلَ به أو أكلَ معَه أو شَربَ. واجتازَ أبو الطَّيب بالطَّفِّ ،فنزلَ بأصدقاءٍ له ، وسارت خيلُهم

لمحاربةِ ضَبَّة ، فاستَركَبُوا أبا الطَّيِّبِ ، فلَزِمَه المَسيرُ معهم. فدخَلَ العبدُ الحِصْنَ وامتنعَ به ، وأقاموا عليه أيَّامًا ، لَّا سِلَاحَ له إلَّا شَتْمُهم مِن وراءِ الحِصْنِ أقبَح شتمٍ ، ويُسَمِّي أبا الطَّيب ويَشْتِمُه ، وأرَادَ القومُ أن يُجِيبوهُ بمثلِ ألفَاظِه القَبيحةِ ، فسألُوا أبا الطَّيِّب أن يهجوه ، فتكَلَّفَ على مشقةٍ ، وعَلِمَ أنَّهُ لو سَبَّه لهم مُعَرِّضا لم يَفْهَم ولم يَعْمَل فيه عَمَلَ التَّصريحِ ، فخَاطَبَه على ألسنَتهم وهو على فَرَسِه)

وقال في الهامش : ابن جني(ورَأيتُهُ وقَدْ قُرِئَتْ عَلَيهِ هَذِهِ القَصِيدَةُ وهُو يَتكَرَّهُ إنْشَادَهَا)

وعودة إلى كتاب" المتنبي والقرامطة" للدكتور محمد محمد حسين ص٩٤ : (هذه الفوضى الخلقية والإباحية الجنسية التي اطلع عليها المتنبي في معسكر القرامطة... يعلل لنا قصيدتين بالغتين في الإفحاش ،وقف أمامهما الرواة والدارسون حائرين، وهما قصيدته في إسحاق بن كَيَغْلَغ ... وقصيدته في ضبة بن يزيد العيني

الأسدي ... من الثابت أنَّ أحد المهجوَّين ـ وهو ضبة ـ كان قرمطيًا فالذين أغاروا على الكوفة، حين كان المتنبي فيها بعد عودته من مصر سن٣٥٣هـ كانوا من قرامطة كلاب أخوال ضبة ،والذين خرجوا مع ضبة، وترصدوا المتنبي وقتلوه في عودته من شيراز إلى بغداد كانوا من قرامطة كلاب أيضا) إهـ

وما دام هؤلاء القوم قرامطة فإنَّ قراءة الهِجَائَين توشك أن تجمع النَفَس الذي أثارهما ففي كلا القصيدتين إفحاشٌ ورميٌ للأعراض، ففي هجاء ضبة هتك عرض أمه، وقد، بلغت أبياتها تسعةً وثلاثين بيتًا وفي هجاء ابن كَيَغْلَغ هتك عرضه وعرض زوجته وبلغت أبياتها ستةً وثلاثين بيتًا.

الفصل الثالث

مناقشة مقالة

[أضواء جديدة على نبوة المتنبي]

حسام محيي الدين الآلوسي ١٣٥٤ـ ١٤٣٤هـ رحمه الله

مجلة الآداب جامعة بغداد العدد: ١٠

تاريخ الإصدار: ٠١ أبريل ١٩٦٧م

ولا غرابة حين تتابع مشغلاتنا في أبي الطيب، فقد وقعت على بحثٍ بعنوان: "أضواء جديدة على نبوة المتنبي " منشورٍ في مجلة الآداب الصادرة عن كلية الآداب جامعة بغداد العدد ١٠ ـ في ا/ إبريل/ ١٩٦٧م للدكتور حسام محيي الدين الآلوسي رحمه الله.

يقول في ص٢٣٨ : (إنَّ الديوان [يعني ديوان المتنبي] يوضح ما يلي:

١ ـ أنَّ المتنبي لا يؤمن بالبعث بكلِّ أشكاله سواءً كان بعثًا روحيًا فقط أم جسديًا وروحيًا.

٢ ـ أنه يعتقد أنَّ الموت نهاية المطاف وأنَّ الحياة هي الفرصة الوحيدة ولذلك فهو يدعوإلى عدم الاكتراث من الموت على نمط ما نعرف من أبيقور.

٣ـ يرى أنَّ العالم بما فيه من شرور لا يدل على وجود

آلـة مـدبرة، وهـذه فكـرة أبيقوريـة وطالمـا اسـتخدمها نفـاة التدبير والألوهية.

٤ـ أنه يعتقد بأنَّ الشر والفساد هو طبع الزمان وأنَّ الحياة غلبة والحكم للأقوى، وهو لذلك متشائم من إمكانية تحسينها، ولكنَّ هذا لا يمنع طلبها لأنه يريد أن يأخذها كما هي فهو بهذا يصطنع مذهبًا تشاؤميًا يزهد في الحياة نظريًا وبطلبها طلب مفارق لها عمليًا.

ثم قال في هامش٢ من هذه الصفحة: (ويقول ابن نباتة المتوفى ٧٦٨هـ وكان يرمى بفساد عقيدته استخرج ذلك من شعره) سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون.

قلت: وبالرجوع إلى شرح الرسالة بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم رحمه الله ص٤١ يتبين أنَّ ابن نباتة رحمه الله لم يقل هذا الكلام تقريرًا أو تحقيقًا، فسياق الكلام يؤكد أنه

رمى هذا الجملة رميًا، كما أنَّ المحقق ضبط لفظة استخرج " بـ "استُخرج " مما يدل على أنَّ الرأي ليس لا بن نباتة وإنما هو ناقل، أضف إلى هذا صيغتي التمريض: " يُرمى ـ استُخرج "

هالتني هذه النتيجة التي افتتح بها الآلوسي بحثه ، فأيقنت أني أمام كلام يجب إيلاؤه نظرًا فاحصًا خاصًا، فدراسته من مقتضيات بحثي وهي منه صليبةً لا إتماما ،فكان ما بين يديك.

فلئن كان القول بدعوى النبوة أذهب عن أبي الطيب الشحم إن صحَّ، فهذه الدعوى إن ثبتت فستأتي على الشحم و اللحم والعظم، فلن تُبقيَ ولن تذر، فما عسى أن يبقى من ذكرٍ ورفعةٍ لرجل جحد البعث ويرى أنَّ الدنيا بلا مدبر؟!

بيَّن الباحث ما حفزه على الكتابة عن المتنبي :(... لكن النتائج التي وصل إليها عبد الوهاب عزَّام حول نبوة المتنبي وهي نتائج تشكك بل وتنفي هذه النبوة وترديد أكثر من كتب عن هذه المسألة بالذات... يخيَّلُ إلي أنني أملك رأيًا آخر أقرب إلى الحق مما ذهب إليه عزام ومن حذا حذوه، ذلك أنَّ عبد الوهاب عزام أفرط في الشك في النصوص التي بين يديه ويخيَّل إلي أنه لم يحسن ـ ربما بدافع من منهج الشك الذي اتخذه ـ قراءتها)

" يخيَّلُ إلي أنني ... ويخيَّل إلي أنه " هذا يدلُّ أنه لم يقطع برأي ولكن سياق حروفه ـ كما سترى ـ بخلاف هذا.

نقل الآلوسي في ص٢٢٥ قولاً للبغدادي في خزانة الأدب عن أبي القاسم الأصفهاني:(... وهو في الجملة

خبيث الاعتقاد، وكان في صغره وقع إلى واحدٍ يكنى أبا الفضل بالكوفة من المتفلسفة فهوسه وأضله كما ضل)

قلت: وأبو الفضل قالت عنه الدكتور ريتا عوض في حديث سابق: ظلَّ مجهولَ الهوية.

في كتابه المتنبي ص ١٨٨ وما بعدها علَّق محمود شاكر على كلام الأصفهاني :(ونحن لا ننفي عن أبي الطيب التأثر بالفلسفة وغيرها... فلسنا نشك بعد أن هذا الفتى المتوقد الذي قال عنه كثيرون ممن رأوه إنه كان واسع العلم والمعرفة قد اختلط وسمع وبحث ونظر وجادل... ثم قلَّ بعد أن استحكمت قوته وغلب عليه الأصل الشعري...ومن تتبع سائر شعره في صباه ، وجد فيه آثارًا كثيرة تدل على ماقرأ أبو الطيب وسمع ... وكان يكثر من التقسيم الفلسفي ، والتوجيه المنطقي وغيره من ألوان كلام

المتفلسفة والمتكلمة والمتصوفة والمتزندقة أيضا... ومما عابه عليه النقاد وخاصمه به المتعصبون عليه وهو من هذا القسم الذي قاله في صباه) وذكر شاكر أبياتًا فيها من كلام المتكلمة وأخرى من كلام المتصوفة والمتفلسفة وأهل الطب.

فشاكر لم ينفِ تأثر أبي الطيب، ولكنه عزاه إلى صباه ؛و شعر مرحلة الصبا مع أبي الطيب وغيره تقلُّ فيه الأناة ويطغى عليه الرأي الفطير، لكنه ترك هذا النهج حين استحكم، وعودته عن نهجه تتوافق مع ما ستراه لاحقًا آخر البحث من أنَّ الآلوسي يقول بالتنبؤ ثم يرى أنَّ أبا الطيب تاب عن هذا.

(... وهو في الجملة خبيث الاعتقاد... وأضله كما ضل) هذا الوصف ورد في ص٧ من" كتاب الواضح في

مشكلات شعر المتنبي) لأبي القاسم الأصفهاني تحقيق سماحة الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمهما الله.

ثم قال المحقق في هامش ٧ من ص٦ :(يعني دعواه النبوة وسماه فضولاً لأنَّ المتنبي لم يدعِ ذلك صريحًا ولكنه يؤخذ من تبجُحه بنفسه)

وحيث إنَّ لقاءه بمن يكنى أباالفضل كان في الكوفة فهذا يؤكد أنَّ اللقاء كان زمن الصبا، ولا يغيبُ القول السابق لريتا عوض من أنَّ أبا الفضل ظل مجهول الهوية.

وسار الأصفهاني في الترجمة مسلسلاً مراحل حياة أبي الطيب:(ثم جئت إلى حديث أبي الطيب المتنبي وانتجاعه ومفارقته الكوفة) هذه المرحلة الأولى، ثم قال عن المرحلة الثانية والثالثة: (ثم اتصل بأبي العشائر، فأقام ما

أقام ثم أهداه إلى سيف الدولة) قلت: ومعلومٌ أنه بقي عند سيف الدولة قريبًا من تسع سنين ٣٣٧هـ حتى فارقه إلى كافور٣٤٦هـ.

وفي ص ١٥ قال الأصفهاني:(... وانتظر المهلبي إنشاده فلم يفعل، وإنما صده ما سمعه من تماديه في السخف واستهتاره بالهزل واستيلاء أهل الخلاعة والسخافة عليه، وكان المتنبي مُرَّ النفس صعب الشكيمة حادًا مجدًا فخرج)

للدكتورة ريتا عوض في كتابها" الشعر والنبوة أبو الطيب المتنبئ بالشعر" ص١٥٢ــ ١٥٣ رأي حول الأصفهاني وكتابه" الواضح في مشكلات شعر المتنبي " تذكر فيه ما يطعن بنزاهة الرجل ويسقط الاحتجاج برأيه:(... ويبدوأنَّ الأصفهاني كان مدركًا أنه تعسَّف

وتفلسف وبالغ في تأويل ما اقتطفه من شعر المتنبي بما لا تحتمله الأبيات التي انتقاها واستلها من سياقها ،وكان ذلك بقصد التقرب من بهاء الدولة ، ابن عضد الدولة البويهي ، وإرضائه ،وهو يعلم أنَّ البويهيين لم يزُلْ حقدهم على المتنبي حتى بعد موته .ويتملقُ الأصفهاني بهاء الدولة في أول كتابه ويصفه بـ[ملك الملوك] وأعظم ملوك الأرض بسطة...ويورد ابن العديم الأبيات التي وضعها الأصفهاني في كتاب الواضح فنجد أنَّ الأصفهاني يضع قبل كل تأويل لبيت يستنتج منه ما افترِض أنه معتقد المتنبي ، يضع كلمة : [قالوا] زاعمًا أنه ينقل ما قاله آخرون لا يحدد من هم ، فإما أنَّ الأصفهاني ادعى في كتاب الواضح ، أنه هو صاحب الاستدلال على معتقد المتنبي من تلك الأبيات ، أو أنه في كتابه[أخبار أبي الطيب] تنصل من نسبتها إلى نفسه

لقناعته بأنه تعسف في تأويلها ؛ والمرجح أنه هومن وضعها إذ لم تصلنا في أيٍّ من المصادر الأخرى التي تناول أصحابُها معتقد المتنبي)أهـ

رجعتُ إلى الكتاب أعني الواضح في مشكلات شعر المتنبي، فوجدته في ص ٧ ـ ٨ يقول عن أبي الطيب: (وهو في الجملة خبيث الاعتقاد، وكان في صغره وقع إلى واحدٍ يكنى أبا الفضل بالكوفة من المتفلسفة فهوسه وأضله كما ضل) فتبين لي أنَّ الأصفهاني هو صاحب الاستدلال على معتقد المتنبي من تلك الأبيات لأنه لم ينسب هذا الاعتقاد إلى أحدٍ قبله مع أنَّ أربعةً من الأبيات منها واردةٌ عند غيره في هذا البحث، وقد أورد الأصفهاني ثمانية أبيات هي :

هوِّن على بصرٍ ما شقَّ منظره فإنما يقظاتُ العين كالحُلُم

مذهب السفسطائية، وقوله:

تمتـــع مــــن ســــهاد أورقـــاد ولا تأمـل كـرىً تحـت الرجـام

فـإن لثالـث الحـالين معنـى سـوى معنـى انتباهـك والمنـام

مذهب التناسخ، وقوله:

نحـن بنـو المـوتى فمـا بالنـا نعـاف مـا لا بـدّ مـن شربـه

فهـذه الأرواح مـن جـوِّه وهـذه الأجسـام مـن تُرْبـهِ

مذهب الفضائية وقوله في أبي الفضل ابن العميد:

فـإن يكـن المهـدي قـد بـان هديـه فهذا وإلا فالهدى ذا فما المهـدي

مذهب السبعية.

قلت : السبعية من الفرق الباطنية يرون أن إسماعيل بن جعفر هو الإمام السابع ، وبعضهم يطلقونها على الإسماعيلية عامة.

وقوله:

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شَجَبٍ والخلف في الشَّجب

فقيـل تخلـد نفـس المـرء باقيـة		وقيل تشرك جسم المرء في العطـب

فهذا مـن يقـول بـالنفس الناطقـة، وينشـعب بعضـه إلـى قول الحشيشـية، أضـف إلـى هـذا أنَّ أبـا الفضـل هـذا رجـلٌ مجهول.

ثم أعود إلى الآلوسي إذ ذكر شواهد على رقة دين أبي الطيـب أوردهـا الثعـالبي في يتيمـة الـدهر، وهـي شـواهد وضـعها الثعـالبي في ج١ ص٢١٠ تحـت عنـوان: (ومنـه الإيضاح عن العقيدة و رقة الدين)

ومنها قوله:

يترشـفن مـن فمـي رَشَـفَاتٍ		هـن فيـه أحلـى مـن التوحيـدِ

قـال ابـن جنـي: وكـان يُنشِـدُهُ أيضًـا [هـن فيـه حـلاوةُ التوحيد]، واستغفر الله مما يكره ومعناه أحلى من التوحيد بالقلب، وهذا البيت في كتاب الفسر من القصيدة ٦٢، وهـو

من قصيدة قالها في صباه حسب رواية ابن جني.

وقال الواحدي رحمه الله في شرحه البيت وهو في فصل" الشاميات أوشعر الصبا ": (ويُروى " أحلى من التأبيد" يقال: رشفت الريق وترشفته إذا مصصتُه: كمن يمصصن ريقي لحبهن إياي، وكانت تلك الرشفات أحلى في فمي من كلمة التوحيد، وهي" لا إله إلا الله" وهذا إفراطٌ وتجاوز للحد)

قلت مع ما للواحدي من علوٍ وقدم صدق في علوم الشريعة، إلا أنه لم يذهب مذهب المتهِم لأبي الطيب في دينه، فللواحدي قدمٌ في تفسير القرآن الكريم، من خلال كتبه الثلاثة ١ـ البسيط في التفسير ـ٢ـ الوسيط في التفسير ـ٣ـ الوجيز في التفسير؛ وله كذلك : أسباب النزول في تبليغ الرسول، وله في النحو والفقه والتاريخ والأدب، فغيرته

حجة لكنه لم يذهب مذهب ضعف العقيدة أو رقة الدين، فوقف عند قوله:(وهذا إفراطٌ وتجاوز للحد)

وكذلك المعري رحمه الله في اللامع العزيزي في شرح ديوان المتنبي:(وقوله: أحلى من التوحيد يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون وصف التوحيد بالحلاوة في فمه، وجعل الرشفات أحلى منه على وجه المبالغة ، كما يقال: هو أحلى من الضَّرَب، لأنَّ الضَّرَب معروف بالحلاوة، والآخر أن يكون جعل التوحيد غير موصوف بالحلاوة)

الضَّرَبُ : العسلُ الأَبيَضُ الغليظُ.

وفي شرح أبي البقاء العكبري ٦١٦هـ رحمه الله لديوان المتنبي، ضبطه وصححه ووضع فهارسه/ مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري/ عبد الحفيظ شلبي، قال في شرحه لهذا البيت: (وقال ابن القطَّاع ٥١٥هـ: ذهب كثيرٌ من الناس إلى

أنَّ لفظة أفضل توجب تفضيل الأول على الثاني في جميع المواضع، وذلك غلط، والصحيح أنَّ أفعل يجيء في كلام العرب على خمسة أوجه ... والثاني : أن يكون الأول من جنس الثاني ، ومحتملا للحاق به، وقد سبق الثاني حكم أوجب له الزيادة بالدليل الواضح فهذا يكون على المقاربة في التشبيه لا التفضيل، نحو قولك :الأمير أكرم من حاتم، وأشجع من عمرو. وبيت المتنبي من هذا القبيل، أي يترشفن من فمي رشفات هن قريبٌ من التوحيد ... وروى الأكثر: أحلى من التوحيد. ومن روى حلاوة التوحيد : أراد هي عندي مثل حلاوة التوحيد، قال أبو الفتح: ويروى أنه أنشده : حلاوة التوحيد)أهـ

ومثله في أنَّ اسم التفضيل يستعمل للتشبيه والمبالغة : "السكين أمضى من السيف " فإنَّه لا يخفى أنَّ المراد هنا

هو المبالغة بقوة مضاء السكين، ومثله أيضًا: به همٌ هو أثقُل من اُحُد، وهذا التخريج وقول أبي الفتح: [ويروى أنه أنشده : حلاوة التوحيد] أذهب به دليلاً من أدلة الخبيئة؛ لأنه يؤول إلى زكاة أبي الطيب وعلوالتوحيد عنده.

وحتى إن ذهبنا إلى رواية " التوحيد" فإنَّ فيها إشارة إلى مكانة التوحيد في نفس أبي الطيب، فلولا أنَّ للتوحيد منزلةً عنده ما ذهب هذا المذهب وجعل التوحيد مشبهًا به، كما يدلُّ على أنَّ للتوحيد حلاوةً استقرت عنده .

قال في القصيدة الخامسة والعشرين حسب ترتيب أبي الفتح وهو من شواهد الثعالبي التي احتج بها الآلوسي:

وأبهر آياتِ التِّهامي أنه أبو كم وإحدى ما لكم من مناقب

ثم قال ابن جني في الشرح:(يريد بالتهامي النبي صلى الله عليه وسلَّم، وقد أكثر الناس القول في هذا البيت ، وهو

في الجملة شنيعُ الظاهر، وقد كان يتعسَّف في الاحتجاج لهُ والاعتذار منه بما لست أراه مُقنعًا ، فأضربت عن ذكره ومع ذلك فليست الآراء والاعتقادات في الدين مما يقدح في جودة الشعر ولا رداءته، لأنَّ كلاً منفرد عن صاحبه، ولم أقصد في هذا الكتاب إلى شرح مذهبه بتصحيح أوغيره) وليت أبا الفتح نقل لنا احتجاجات أبي الطيب، فلعل الخلف يجدون مناديحَ لم يجدها السلف.

قوله: (فليست الآراء ... صاحبه) لا يُقرُّ لأبي الفتح هذا الرأي ، بل إنَّ الخلاعة والمجون والتهتك ومساس مسلمات الشريعة نواقص ونواقض لخلود الشعر وجماله، ألا نرى ما اعترى أبانواس فأسقطه عن الفحول مع مافي شعره من الجيد السمين.

جاء في هامش ٩ من ص ٥١٩ ج١ من كتاب الفسر:

(أورد المعري في معجزات أحمد شرحًا مقتضبًا للبيت، ثم قال: [وذكر ابن جني أنَّ أبا الطيب كان يتعسَّف في الاحتجاج له والاعتذار بما لست أراه مقنعًا،وأُعرِضُ عن ذكره ، وقد أورد الواحدي قسمًا كبيرًا من شرح ابن جني وعلَّق عليه بقوله: قال أبو الفضل العروضي فيما أملاه علي: هذا بيت حسن المعنى مستقيم اللفظ حتى لو قلت إنه أمدح بيت في شعره لم أبعد عن الصواب ولا ذنب له إذا جهل الناس غرضه واشتبه عليهم، أمَّا معناه أن قريشا وأعداء النبي (ص) كانوا يقولون إنَّ محمداً صنبور أي منفرد أبتر لا عقب له فإذا مات استرحنا منه فانزل الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر:١]، أي العدد الكثير ولست بالأبتر الذي قالوه ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر:٣] فقال المتنبي: أنتم من معجزات النبي (ص)

وآيات لتصديقه وتحقيق قول الله تعالى.

أحب أن أنبه إلى أنَّ : " وقد أورد الواحدي... " من كلام المحقق وليس من كلام المعري، كما أنَّ الكلام المنقول عن المعري من هامش ٩ من ص ٥١٩ ج١ من كتاب الفسر هو من إدراج المحقق وليس من كتاب الفسر نصًا.

ومن متابعة ما أورد ه الثعالبي من شواهد على رقة دينه قوله:

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مثل الذي الأفلاك فيه والدنا

هذا البيت ورد في القصيدة حسب ترتيب الفسر٢٦٩ وهي في مدح بدر بن عمَّار، وقال فيه ابن جني:(وأفرط جدًا؛ لأنَّ الذي الأفلاك فيه والدُّنا هو علم الله، والله سبحانه يتعالى عن ذلك علوًا كبيرا) ونقل المحقق في هامش ٢ من

ص٦٦٤ تعليقًا للوحيد: (ليس هذا من حسن الشعر ولا ينبغي للحاذق أن يستعمله، لأَنَّه سهلٌ أن يقول بعد طرح الدين لآخر: ياخالق الخلق، ويارازقهم والناس عبيدك والدنيا والآخرة بيدك، ثم لا يحل ذلك من القلوب محلا، ولا يستحسنه أحد، ولا يزكو عند الممدوح أيضًا)

وقال المعري رحمه الله في اللامع العزيزي:(الهاء في "إدراكه" راجعةٌ إلى علم الممدوح. يقول : تتقاصر الأفهام عن إدراكه مثل تقاصرها عن علم ما الأفلاك فيه) وهذا تخريج يُذهِب الحرج عن الشاعر.

الواحدي:

وأبهر آيات التِّهامي أنه أبو كم وإحدى ما لكم من مناقب

ورد عند الواحدي في شرحه للديوان :(قال أبو الفضل العروضي فيما أملاه علي: هذا بيت حسن المعنى مستقيم

اللفظ حتى لو قلت إنه أمدح بيت في شعره لم أبعد عن الصواب ولا ذنب له إذا جهل الناس غرضه واشتبه عليهم، أما معناه : أنَّ قريشًا وأعداء النبي صلى عليه وسلَّم كانوا يقولون إنَّ محمداً صنبور أي : منفرد أبتر لا عقب له فإذا مات استرحنا منه فانزل الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر:١]، أي العدد الكثير ولستَ بالأبتر الذي قالوه ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ [الكوثر:٣]، **فقال المتنبي: أنتم من معجزات النبي صلى الله عليه وسلَّم وآياتٌ لتصديقه وتحقيق قول الله تعالى، وذلك أجدى ما لكم من مناقب، بالجيم)**

قوله: " بالجيم" يشير إلى أنَّ المقصود أنَّ هذا " أجدى " أي أحقُّ وأنفع ما لكم من المناقب، بخلاف رواية إحدى التي تعني أنَّ هذا من مناقبكم .

قال أبو الطيب:

أو كــان صــادف رأس عــازرَ ســيفُه في يــومِ معركــةٍ لأعــي عيســى

قـال الواحـدي: (عـازر: اسـم رجـل أحيـاه الله تعـالى بدعاء عيسى عليه السلام. يقـول :لوكـان مقتـولاً بسيفه في الحرب لأعجز عيسى إحياءه. وهذا جهلٌ وإفراط نعوذ بالله من الغلو)

أوكــان لــجُّ البحــر مثــلَ يمينــه مــا انشــق حتــى جــاز فيــه موســى

(وهذا أيضًا من الإفراط والغلو كالذي قبله)

ورد عنـد الثعـالبي في يتيمـة الـدهر في مبحـث "ومنهـا الإيضاح عن ضعف العقيدة "

وتتقاصــر الأفهــام عــن إدراكــه مثــل الــذي الأفــلاك فيــه والــدنا

وقد أفرط جدًا لأنَّ الذي الأفلاك فيه والدُّ نا هو علم الله عزوجل)

وهذا البيت قال عنه الواحدي في شرحه للديوان : (الدنى جمع الدنيا، مثل الكُبْر والصُغْر في جمع الكُبْرى والصُغرى، أفهام الناس قصيرةٌ عن إدراك هذا الممدوح، كما تقاصرت عن علم الشي المحيط بالأفلاك وبالدنى. فإنَّ أحدًا لا يعرف ما وراء الأفلاك وأنَّ العالم إلى ما ينتهي من الأعلى والأسفل، والتقدير: تتقاصر الأفهام مثل تقاصرها عن إدراك الذي فيه الأفلاك، لكنه حَذَف لدلالة ما تقدم على ما حَذَف) فهذا تخريج له مسوغ ويصرف عن أبي الطيب الوصم بضعف العقيدة.

أورد الآلوسي بيتين قال عنهما: (وقد أظهر ابن جني ما يشبه الشك في عقيدة المتنبي في البعث عرضًا بصدد بيت المتنبي التالي:

تمتع من سُهادٍ أورقادٍ		ولا تأمل كرى تحت الرجامِ

فـــإنَّ لثالـــث الحـــالين معنـــى ســـوى معنـــى انتباهـــك والمنـــامِ

بالرجوع إلى الفسر فالبيت الأول قال عنه ابن جني: (أرجوأن لا يكون أراد بذلك أنَّ نومة القبر لا انتباه بعدها) هبْ أنَّ هذا الكلام يشبه الشك، فكونه مشبهًا لا أصيلاً هل يُعتد به ناقضًا للدين؟!

أبو العلاء في اللامع العزيزي: الرجام : جمع رَجَم وهو القبر، يقول لنفسه وأميره: تمتع من سهادك أومن رقادك فإنهما زائلان، ثم ذكر ثالثًا فقال:

فـــإنَّ لثالـــث الحـــالين معنـــى ســـوى معنـــى انتباهـــك والمنـــام

يعني الموت، ولولم يقل أبو الطيب غير هذه القصيدة لكان من أشعر الناس)

انظر كيف تتباين الأفهام بين أبي الفتح وأبي العلاء، كما تباينت فيما روي عن أبي الفضل العروضي في البيت

السابق.

وقال الواحدي عن البيتين: (الرجامُ: القبور المبنية من حجارة، واحدها رَجَم ، يقول ما دمتَ حيًا فتمتع من حالتي السهاد والنوم، فلا ترجُ النوم في القبر، يريد بثالث الحالين، الموت يقول: الموت غير اليقظة والرقاد، فلا تظنَّنَّ الموت نومًا)

فلم يذهب الواحدي إلى ما خطر ببال ابن جني، والآلوسي حين يقول: [ما يشبه الشك] فالآلوسي يتعلَّق بأدنى ملا بسة ليعزِّز بها رأيه، فكلام ابن جني على رأي الألوسي يشير إلى ما يشبه الشك، وقول الواحدي يقطع ما خطر في ذهنه، حتى لوأخذنا برأ ي ابن جني فهو لم يقطع، فكيف يستأنس الآلو سي برأي لم يجزم به قائله ويجعله مؤذنًا إلى أمرٍ عظيم يخرج صاحبه من الإسلام.

وبالرجوع إلى القصيدة نجد انها تنفي ماذهب إليه الآلوسي، فمما جاء فيها:

أَسْتَغْفِرُ الله لِشَخْصٍ مَضَى كَانَ نَدَاهُ مُنْتَهَى ذَنْبِهِ
مِثْلُكَ يَثْنِي الحُزْنَ عَن صَوبِهِ ويَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَن غَرْبِهِ
إِيمَا لإِبقَاءٍ عَلَى فَضْلِهِ إيمَا لِتَسْلِيمٍ إِلَى رَبِّهِ

ثم يمضي الآلو سي ليستشهد بقولٍ للمعري رحمه الله، فيقول:(أنَّ إيمان المتنبي بالله لم يكن إلا عن ظاهر اللسان لا عن عقيدة صحيحة لأنه أي ــ المعري ـ يقول بعد هذا مباشرة: وإذا رجع إلى الحقائق فنطق اللسان لا ينبئ عن اعتقاد الإنسان، لأن العالم مجبول على الكذب والنفاق)

هذا الكلام يتقاضاه مُسْقطان: الأول أنَّ بقية كلام المعري التي لم ينقلها الآلوسي فيها رخاوة وتمريض وليس فيها جزم، فهو يقول:(وإذا رجع إلى الحقائق ...

ويحتمل أن يظهر الرجل بالقول تديناً وإنما يريد أن يصل به إلى ثناء أو غرض) فكلمة" يحتمل " تسقط الاستدلال بنص المعري على أمرٍ خطير، ولا يُصار إلى نقيض المنطوق إلا بدليل.

والمُسقِطُ الثاني رواية ابن جني رحمه الله الذي يروي مشافهة ويصف حال رجل رآه بعينه وخالطه :(... وحقًا أقول: لقد شاهدته على خُلُقٍ قلَّما تكامل إلا لعالمٍ موفق) وقال في موضعٍ آخر: (وحدثني المتنبي شاعرنا ـ وما عرفته إلا صادقًا) (وهل هذه الفصاحة والطلاقة إلا نورٌ من عند الله عزَّ وجل استودعه قلبه) مع أنَّ كلام الآلوسي بجزم أبي العلاء بنقض إيمان أبي الطيب غيرُ صحيح، فما يدري المعري أنَّ إيمان أبي الطيب بالله لم يكن إلا عن ظاهر اللسان لا عن عقيدة صحيحة، فأمر الحكم ببطلان العقيدة

قولٌ خطير لا يُقال به إلا ببينة صريحة.

يستشهد الآلوسي على رقة دين أبي الطيب بمقولة علي بن حمزة البصري ٣٧٥هـ رحمه الله:(بلوت من أبي الطيب ثلاثَ خلالٍ محمودة: وتلك أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط، وبلوت منه ثلاث خصال ذميمة: وتلك أنه ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن)

هذا الشاهد إيراده من فضول القول فلا داعي إلى القول برقة الدين بعد أن رميناه بالنفاق، وهذه المقولة مرَّ أنَّ الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد أسقطها في مجلة الرسالة١٦٤ وكذلك أتبعتُ الكلامَ بما رأيته مسقطًا له فليُرجع إليه مع أول حديثي عن التنبؤ.

ثم تكلَّم الآلوسي عن فقرة " المتنبي لا يؤمن بالبعث" : (لا حظت عند قراءتي لديوان المتنبي ظاهرةً تلفت النظر

وهي أنه في رثائه وفي غير رثائه مـن ألـوا ن فنونـه الشـعرية لا ينوه حين يذكر الموت بما سيعقب هـذا المـوت مـن نعـيمٍ وخلود ينالهما مرثيوه... هذه الظاهرة تبعث على الشـك في عقيدة المتنبي عن البعـث والعـالم الآخر...النصـوص التـي يجدها القارئ للديوان والصريحة الدلالة على عدم اعتقاده بما يعقب الموت من نعيمٍ أوشقاء كفيلة بأن تجعل الباحث يسرف في الاتهام بدلا من أن يحاول أن يجد لها الأعذار)

عجـبٌ أيَّ عجـب هـذا الاسـتدلال الـواهي علـى أمـرٍ عظيم يسلخ المرأ من دينـه، تمعـن بالجملـة الأخيـرة تـدرك الجرأة والإسراف في كيل التهم، كما أنَّ صراحة الدلالـة لـم يذكر عليها الآلوسي قولاً صريح الدلالـة على عـدم اعتقـاد أبي الطيب بما يعقب الموت من نعيمٍ أو شقاء.

ومما يستشهد به الباحث على رأيـه هـذه الأبيـات التـي

يرثي بها أبو الطيب أخت سيف الدولة:

تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لا اتَّفَاقَ لَهُمْ إِلاَّ عَلَى شَجَبٍ والخُلْفُ في الشَّجَبِ
فَقِيلَ تَخْلُصُ نَفْسُ المَرْءِ سَالِمَةً وقِيْلَ تَشْرَكُ جِسْمَ المَرْءِ في العَطَبِ
وَمَنْ تَفَكَّرَ في الدُّنْيَا ومهْجَتِهِ أَقَامَهُ الفِكْرُ بَيْنَ العَجْزِ والتَّعَبِ

ثم قال: (فنحن نجد في هذه الأبيات شكًا وحيرة) أهـ

الشجَب: الموت.

منطلقه الأول: (أنه في رثائه وفي غير رثائه من ألوا ن فنونه الشعرية لا ينوه حين يذكر الموت بما سيعقب هذا الموت من نعيمٍ وخلود ينالهما مرثيوه)

ومنطلقه الثاني فهمه أنَّ هذه الأبيات فيها شكٌ وحيرة.

وللرد عليه أقول : هل ذكرُ الموت وما سيعقبه، هل هو من عمودفن الرثاء الذي نهجه الشعراء غير أبي الطيب؟ وما ذا قال الشَّراح عن هذه الأبيات؟ وهل يُلزمُ الشاعر بأن

يكون واعظًا يذكر الناس بالموت وما بعده ؟ وهل الوعظ مما جرت به سنة الشعراء؟ قراءة الشعر العربي تقول: " لا " حتى شعر الشعراء من الصحابة كحسان وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهما لم تُبنَ على هذا.

وكان مبدأ ما نظرت فيه ثلاثَ قصائد في الرثاء اتحقق منها إن كان ذكر ما سيعقب الموت هو من عمود فن الرثاء:

كانت أولاهن لأبي تمام ١٨٨ - ٢٣١ هـ رحمه الله يرثي ابنه أباعلي، ديوان أبي تمام تحقيق محمد عبده عزام ومنها:

كان الذي خفتُ أن يكونا ... إنّا إلى اللهِ راجعونا

أمسى المرجى أبو علي ... موسّدا في الثرى يمينا

حين استوى وانتهى شبابا ... وصدّق الرّأي والظنونا

أصبت فيه وكان عندي ... على المصيبات لي معينا

كنـــت كثيـــرا بـــه عزيـــزا　　　وكنـــت صـــبابه ضـــنينا

دافعـــت إلا المنـــون عنـــه　　　والمـــرء لا يـــدفع المنونـــا

آخـــر عهـــدي بـــه صـــريعا　　　للمـــوت بالـــذل مســـتكينا

يشـــخص طـــورا بناظريـــه　　　وتـــارة يـــكسر الجفـــونا

إذا شـــكا غصـــة وكربـــا　　　لا حـــظ أو رجـــع الانينـــا

يـــدير في رجعـــه لســـانا　　　يمنعـــه المـــوت أن يبينـــا

وقعتْ القصيدة في واحدٍ وعشرين بيتًا، فهل جاء فيها ما يؤيد مذهب الألوسي من ذكر ما سيعقب الموت من نعيمٍ وخلود ينالهما مرثيوه؟ قراءة القصيدة تقول :لا، فلم نجد فيها إشارة لما سيكون بعد الموت مع أنه رثاءٌ صادقٌ لا محالة فهي بابنه رحمهما الله، فليس ذكر هذه المعاني إذن من عمود شعر الرثاء، واستثني تضمينه معنى آية الاسترجاع، فهذا دعاء يجري على لسان المسلم عند

المصيبة، وليس فيها ذكرٌ لما سيعقب الموت، فهل رُمي أبو تمام بإنكار البعث؟

ثم قرأت قصيدة البحتري ٢٠٤ - ٢٨٠ هـ في رثاء المتوكل رحمهما الله، من ديوانه تحقيق وشرح وتعليق حسن كامل الصيرفي، وقد وقعت في ثلاثةٍ وثلاثين بيتًا، فلم أجد فيها ذكر ما سيعقب الموت من نعيمٍ وخلود ومنها:

محلٌّ على القاطول أخلق داثره وعادت صروف الدهر جيشًا تغادره

كأنَّ الصبا توفي نذورًا إذا انبرت تراوحه أذيالها وتباكره

ورب زمانٍ ناعم ثَمَّ عهده ترقُّ حواشيه ويونَق خصره

تغيَّر حُسنُ الجعفري وأُنْسه وقُوِّض بادي الجعفري وحاضره

تحمَّل عنه ساكنوه فُجَاءةً فعادت سواءً ضوره ومقابره

إذا نحن زرناه أجدَّ لنا الأسى وقد كان قبل اليوم يبهج زائره

ولم أنسَ وحش القصر إذريع سربه وإذ ذُعرت أطلاؤه وجآذره

وإذ صيح فيه بالرحيل فهُتِّكت ... على عجلٍ أستاره وستائره

ووحشته حتى كأن لم يقم به ... أنيس ولم تحسن لعينٍ مناظره

كأنَّ لم تبت فيه الخلافة تلقةً ... بشاشتها والملك يشرق زاهره

وليس فيها ذكرٌ لما سيعقب الموت، فهل رُمي البحتري بإنكار البعث؟

. ثم قرأت قصيدة أبي الطيب في رثاء جدته رحمهما الله، وقد وقعت في أربعةٍ وثلاثين بيتا، فوجدتها أقربَ الثلاث إلى هذا الشرط، ومما جاء فيها:

ألالا أُري الأحداثَ حمدًا ولا ذما ... فما بطشُها جهلا ولا كفُها حلما

إلى مثل ما كان الفتى مرجع الفتى ... يعود كما أُبدي ويكري كما أرمى

لكِ الله من مفجوعةٍ بحبيبها ... قتيلةِ شوقٍ غيرِ ملحقها وصما

أحنُّ إلى الكأس التي شربتْ بها ... وأهوى لمثواها التراب وما ضمَّا

بكيتُ عليها خيفةً في حياتها ... وذاق كلانا ثُكلَ صاحبه قِدْما

ولـو قتـل الهجـرُ المحبـين كلَّهـم مضـى بلـدٌ بـاقٍ أجـدت لـه صـرما

عرفت الليالي قبـل مـا صـنعت بنـا فلمـا دهتنـي لـم تـزدني بهـا علمـا

منـا فعهـا مـا ضـرَّ في نفـع غيرهـا تغـذَّ وتـروى أن تجـوع وأن تظمـا

فَأَصبَحتُ أَستَسقي الغَمـامَ لِقَبرِهـا وَقَد كُنتُ أَستَسقي الوَغى وَالقَنا الصُمّا

تَغَرَّبَ لا مُستَعظِمًا غَيرَ نَفسِهِ وَلا قـابِـلاً إِلّا لِـخالِقِـهِ حُكـمـا

فهـو في البيـت التاسـع يـدعو لهـا بالرحمـة، وجملـة [استسقي] وما اشْتُق منها ترد في المراثي كثيرًا والمقصود بها الـدعاء بالرحمـة، فلـو لـم يكـن يـؤمن بالبعـث مـا دعـا لهـا بالرحمـة، وفي البيـت العاشـر يُظْهِـر التسـليم لخالقـه، وهـذا منبعـه إيمـان بمـا بعـد المـوت مـن نعـيم ويـدفع عنـه الشـك والحيرة.

* ويكري: ينقص، أرمى: زاد.

قـال العكبـري رحمـه الله:(يقـول: كنـت استسـقي

الحرب والقنا دماء الأعداء، فصرت استسقي الله لقبرها على عادة العرب في الدعاء للقبور سقيا السماء) ثم نقل عن الواحدي(وقال الواحدي : بعدما نقل هذا تركت الحرب وجدًا بموتها، واشتغلت بالدعاء لها) فهذان تفسيران يؤيدان أنه يدعو لها ولو كان لا يؤمن بما بعد الموت من نعيم ما دعا لها.

ومن إيمانه بما سيكون بعد الموت قوله:

أَسْتَغْفِرُ الله لِشَخْصٍ مَضَى كَانَ نَدَاهُ مُنْتَهَى ذَنْبِهِ
مِثْلُكَ يَثْنِي الحُزْنَ عَن صَوبِهِ ويَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَن غَرْبِهِ
إِيمَا لإبقَاءٍ عَلَى فَضْلِهِ إيمَا لِتَسْلِيمٍ إِلَى رَبِّهِ

ويضاف هنا أنَّ هذه الأبيات من القصيدة التي منها:

لَّا بُدَّ لِلإِنْسَانِ مِن ضَجْعَةٍ لَّا تَقْلِبُ المُضْجَعَ عَن جَنْبِهِ

وهي مما قال فيه الآلوسي : (وقد أظهر ابن جني ما

يشبه الشك في عقيدة المتنبي في البعث عرضًا) فهذه الأبيات تنفي ما ظنه ابن جني، وتثبت أنه يؤمن بالبعث،ولوكان كذلك ماستغفر للميتة، ولاحث المحزون على التسليم.

ومن دلائل إيمانه بالبعث وما سيكون بعده ما جاء في قصيدته التي رثى بها والدة سيف الدولة رحم الله الجميع :

صلاةُ اللهِ خالقِنا حنوطٌ على الوجه المكفَّنِ بالجمالِ

قال الواحدي رحمه الله في شرح البيت: (صلاة الله : مغفرته ورحمته. يدعو لها بأن تكون رحمة الله لها بمنزلة الحنوط للميت، وجعل وجهها مكفنًا بالجمال كأنَّ الجمال كفنٌ لوجهها، وكأنه يقول: رحم الله وجهها الجميل) قال أبو سهيل: فلِمَ يدعو لها بالرحمة إذا كان لا يؤمن بالبعث ولا بما بعده من نعيمٍ أوعذاب؟

ومن هذا جاء في ص٦٠٨ ـ ٦٠٩من كتاب " موازنة

بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء" للدكتور زُهدي صبري الخواجا: (وأمَّا ما يبدو لنا من رغبته [يعني أبا الطيب] في معانقة الدنيا قبل مفارقتها ، فلم يكن ذلك لذات المتعة، وإلا فما سر إعراضه عن الغواني الحسان وقد تهافتن على وصاله؟ وما سر تخليه عن مجالس اللهو والشرب وقد أتيحت له منادمة الزعماء والرؤساء ؟... واحتقر خيرات الدنيا لعلمه أنها فانية)

*ومن ميميته التي يمدح فيها سيف الدولة بعد انتصاره في معركة الحدث:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكريم المكارم

ولستَ مليكًا هازمًا لنظيره ولكنَّك التوحيد للشرك هازم

قال الواحدي:(يقول لستَ في هزمك الدمستق ملكًا هزم نظيرًا، ولكنَّك الإسلام هزم الشرك)

***وقال يخاطب فرسه الذي حبسه الثلج عن المرعى:**

ما للمروج الخضر والحدائق   يشكو خلاها كثرة العوائق

أيْ كَبْتَ كل حاسدٍ منافقٍ   أنت لنا وكلنا للخالق

في البيت الثاني ينادي الفرس يامن كبت أي كببت الحاسد على وجهه ثم يفصح عن معتقده بأنه وفرسه مملوكان للخالق.

ومما يتمُّ الموضوع أن أشير إلى بحثٍ بعنوان: [الرثاء بين أبي تمام والبحتري والمتنبي] للباحثة/ أديبة فارس مقدم إلى الجامعة السورية سنة ١٣٥١هـ وازنتْ فيه الباحثة بين قصائد ثلاث، فاختارت لأبي تمام قصيدته في رثاء ابنه، التي منها:

كان الذي خفت أن يكونا   إنَّا إلى الله راجعونا

أمسى المرجَّى أبو علي   موسَّدًا في الثرى يمينا

واختارت للبحتري رثاءه للمتوكل التي منها:

محلٌ على القاطول أخلق داثره وعادت صروف الدهر جيشًا تغاوره

كأنَّ الصَّبا توفي نذورًا إذا انبرت تراوحه أذيالها وتباكره

واختارت للمتنبي رثاءه جدته التي منها:

ألا لا أوري الأحداث مدحًا ولا فما بطشها جهلاً ولا كفها حلما

إلى مثل ما كان الفتى مرجع الفتى يعود كما أبدى ويكري كما أرمى

ثم قالت في نهاية البحث:(... أما التعبير عن لواعج النفس تجاه المصيبة وأثرها في الجسم فقد كاد أن يلمسه البحتري، لكنه وقف وتراجع ، وكذا كان في لغته ، وتسابق الآخران في هذا المضمار ، فوصلا على ما اعتقد في وقت واحد ، أو تقدم المتنبي لقرب عواطفه من الحقيقة ، فإن كان لا بد لكل منهم من رتبة في صدق عاطفته فالبحتري يتأخر، ويتنازع أبوتمام وأبو الطيب الأولوية)

فالباحثة لم تتعرض للبعث ولما لما سيعقبه من إنكار أوثبوت ولم تنكر عليهم إغفاله ، لأنَّ هذا ليس من لوازم عمود شعر الرثاء، فحصرت نتيجتها في العاطفة، وليس في ترك الحديث عن المعاد ما يشكك في عقيدة الشاعر.

وعلى افتراض أنَّ ذكر ما سيعقب الموت من نعيمٍ أو جحيم أنَّ هذا من عمود شعر الرثاء فهل تركه يوجب هذه النتيجة المكفرة؟!، وهذا استنباط وفهم لم أره عند غير الآلوسي. عفا الله عنه.

ثم تابعتُ القراءة في الرثاء فقرأت عينية أبي ذؤيب رحمه الله في رثاء أبنائه، شرح ديوان الهذليين صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري/ رواية أبي الحسن النحوي عن أبي بكر السكري تحقيق عبد الستار أحمد فرج راجعه محمود محمد شاكر ومنها:

أمِـن المنـونِ وريبهـا تتوجـعُ والـدهرُ لـيس بمعتـبٍ مـن يجـزعُ
قالـت أميمـةُ مـا لجسـمِكَ شـاحبًا منذ ابتُذِلتَ ومثلُ مالـك ينفعُ
أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا إلا أقضَّ عليك ذاك المضجع
فأجبتُهـا أن مـا لجسـمي إنـه أودى بنـي مـن الـبلاد وودعـوا
أودى بنـي وأعقبـوني حسـرةً بعـد الرقـادِ وعبـرةً لا تقلـعُ
ولقـد أرى أن البكـاءَ سـفاهةٌ ولسوف يولـعُ بالبكـا مـن يفجـعُ
سـبقوا هـوى وأعنقـوا لهـواهم فتخرمـوا ولكـل جنـب مصـرع
فغبـرتُ بعـدهمُ بعـيشٍ ناصـبٍ وإخـالُ أني لاحـقٌ مسـتتبعُ
ولقد حرصتُ بأن أدافعَ عنهمُ فـإذا المنيـةُ أقبلـتْ لا تـدفعُ
وإذا المنيـةُ أنشـبتْ أظفارَهـا ألفيـتْ كـلَّ تميمـةٍ لا تنفـعُ

وهي تسعةٌ وستون بيتًا في رثاء أبنائه، فلـم يتعـرض لمـا سيعقب المـوت مـن نعيمٍ وخلـود مع مـا هـو معروف مـن

عاطفة الأبوة.

وهذا أبو الحسن التهامي ٤١٦هـ رحمه الله له رائية في رثاء ابنه وتعد من عيون المراثي. بناها على تسعة وثمانين بيتًا، وهي في ديوانه بتحقيق/ الدكتور محمد بن عبد الرحمن الربيع، قرأتها فلم أجده تعرض لما سيعقب الموت من نعيمٍ وخلود ومنها :

حُكْمُ المنيةِ في البريةِ جاري ... ما هذه الدنيا بدارِ قرارِ

بينا يُرى الإنسانُ فيها مخبرا ... حتى يُرى خبراً من الأخبارِ

طُبعتْ على كدرٍ وأنت تريدُها ... صفواً من الأقذارِ والأكدارِ

ومُكلّفُ الأيامِ ضدَ طباعِها ... مُتطلبٌ في الماءِ جذوةَ نارِ

وإذا رجوتَ المستحيلَ فإنما ... تبني الرجاءَ على شفيرٍ هارِ

فالعيشُ نومٌ والمنيةُ يقظةٌ ... والمرءُ بينهما خيالٌ سارِ

فاقضوا مآربَكم عجالا إنما ... أعمارُكم سفرٌ من الأسفارِ

وتراكضوا خيلَ الشبابِ وبادروا   أنْ تُستردَ فإنهن عوار
فالدهرُ يخدعُ بالمنى ويغصُّ أن   هنّا ويهدمُ ما بنى ببوار
ليس الزمانُ وإن حرصتَ مسالمًا   خُلُقُ الزمانِ عداوةُ الأحرارِ

وقرأت مرثية جرير بزوجته عليهما رحمة الله ، من ديوانه شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، وبناها على ثمانيةٍ وثمانين بيتًا ومنها:

لولا الحياءُ لهاجني استعبارُ   ولزرتُ قبرَكِ والحبيبُ يزارُ
ولقد نظرتُ وما تُمَتِعُ نظرةٌ   في اللحدِ حيث تمكَّنُ المحفارُ
فجزاكِ ربُكِ في عشيركِ نظرةٌ   وسقى صداك مجلجلٌ مدرارُ
ولَّهتِ قلبي إذ علتني كبرةٌ   وذوو التمائم من بنيكِ صغارُ
أرعي النجومَ وقد مضتْ غوريةٌ   عُصَبُ النجومِ كأنهنَ صِوارُ
نعم القرينُ وكنتِ علقَ مضنةٍ   وارى بِنَعْفِ بُلَيَّة الأحجارُ

عَمِرتْ مكرمةَ المساكِ وفارقتْ ما مسها صلفٌ ولا إقتارُ

كانت مكرَّمَة العشير ولم يكن يخشى غوائل أمِّ حزرةَ جارُ

ولقد أراكِ كُسيتِ أجملَ منظرٍ ومع الجمال سكينةٌ ووقارُ

والريحُ طيبةٌ إذا استقبلتِها والعرضُ لا دنِسٌ ولا خوّارُ

وقد وقعت في تسعةٍ وثمانين بيتًا فلم أجده تعرض لما سيعقب الموت من نعيمٍ وخلود.

ثم بقراءة مرثية مالك بن الريب٦٠هـ رحمه الله لنفسه وقد وقعت في اثنين وستين بيتًا فلم يتعرض لما سيعقب الموت.

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً بجنب الغضى أُزجي القِلاصَ النواجيا

فليت الغضى لم يقطعِ الركبُ وليت الغضى ما شى الركابَ لياليا

لقد كان في أهلِ الغضى لو دنا مزارٌ، ولكنّ الغضى ليس دانيا

ألم ترَني بعتُ الضلالةَ بالهدى وأصبحتُ في جيش ابن عفانَ غازيا

لعمري لئن غالتْ خراسانُ هامتي لقد كنتُ عن بابي خراسان نائيا

فإن أنجُ من بابي خراسانَ لا أعدْ إليها وإن مَنيّتموني الأمانيا

تذكرتُ من يبكي عليّ فلم أجدْ سوى السيفِ والرمحِ الرديني باكيا

ولمّا تراءتْ عند مروٍ منيتي وحلّ بها جسمي وحانتْ وافاتيا

أقول لأصحابي ارفعوني فإنّني يقرُّ بعيني أن سهيلٌ بدا ليا

أقيما عليّ اليومَ أو بعضَ ليلةٍ ولا تعجلاني قد تبيَّن ما بيا

فهذه ستُ مراثٍ منها ثلاث في الولد ، وواحدة في خليفة، وواحدة في زوجة، وأخرى لشاعر يرثي نفسه ونوعتُ في المرثيين ليتبين بُعْدُ ما ذهب إليه الألوسي، فليس في ترك الراثي ما سيعقب الموت دليلٌ على إنكار البعث.

في البيت السابق لأبي الطيب: [فَأَصبَحتُ أَستَسقي الغَمامُ لِقَبرِها] قلت لك إنها ترد كثيرًا والمقصود بها

الدعاء بالرحمة، وها هو جرير يقول في رائيته:

فجـزاكِ ربـكِ في عشـيرك نظـرةً وسـقى صـداكِ مجلجـلٌ مـدرارُ

ويقول:

فسقى صدى جدثٍ ببرقة ضاحك هَـزِمٌ أجـشٌّ وديـمةٌ مـدرارُ

وفي بحثٍ منشورٍ في مجلة اللغة العربية وآدابها جامعة الكوفـة في مجلـد ١ عـدد ٢٨ تشـرين الأول ٢٠١٨ ص١٦٤ .أعده أ.م.د.ستار عبد الله جاسم بعنوان[أثر النشأة الكوفية في شعر أبي الطيب المتنبي] : (ومن الأثر الديني للكوفة في شعر أبي الطيب أيضًا أنَّ في شعره ذكرًا لجملةٍ من الأنبياء وفي بعض ذلك يستوحي أبو الطيب ألفاظ القرآن الكريم وقصصه في سبيل ملامسة المعاني التي هو في صددها ولا سيما في الرثاء، وذلك من هذه الأبيات في مرثيته محمد بن إسحاق :

فأعيــذ أخوتــه بــربِّ محمــدٍ　　أن يحزنــوا ومحمــد مســرورُ

يُبكــى عليــه ومــا اسـتقر قــراره　　في اللحــد حتــى صــافحته الحــورُ

فنلاحظ أنه في البيت الأول يُسلِّي أخوة المتوفى بألا يحزنوا لأن المرثي مسرورفي قبره، وفي البيت الثاني يثبت نعيمًا للميت:[صافحته الحورُ] وهذا يبطل ما ذهب إليه الألوسي من أنه لا يذكر في شعره ما سيعقب الموت.

ثم قال جاسم: (ويمضي أبو الطيب في إيراد الألفاظ القرآنية المقترنة بمعانيها في الأبيات الأخرى ومن ذلك: منكر ونكير، آجال العباد، سعير، الحور).

ثم نأخذ بالكلام على منطلق الألوسي الثاني حيث قال: (فنحن نجد في هذه الأبيات شكًا وحيرة) وهذه الأبيات هي:

تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لا اتِّفَاقَ لَهُـمْ　　إِلاَّ عَلَى شَجَبٍ والخُلْفُ في الشَّجَبِ

فَقِيلَ تَخْلُصُ نَفْسُ المَرْءِ سَالِمَةً وقِيْلَ تَشْرَكَ جِسْمَ المَرْءِ في العَطَبِ

وَمَنْ تَفكَّرَ في الدُّنْيَا ومهجَتِهِ أَقَامَهُ الفِكْرُ بَيْنَ العَجْزِ والتَّعَبِ

فجاء الطواف كما يلي في شروح ديوان أبي الطيب.

قال أبو الفتح ٣٢٢ــ ٣٩٢هـ في كتابه" الفسر": (الشَّجب: الهلاك يقال شجب يشجب شجبًا ... العَطَب الهلاك ، يقول : اختلف الناس في كلِّ شيْءٍ إلا في الموت فإنهم قد اجتمعوا عليه، وقد اختُلف أيضًا في الموت فقيل: إنَّ الجسم يموت والنفس حية لا تموت ،وقيل: بل تموت النفس أيضًا كما يموت الجسم يقول الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص:٨٨]إهـ

قلت: وقول أبي الطيب: [فقيل تخلص...] يفصح صراحةً بأنه ينقل ما قيل ، وليس يقول بقوله هو، وكذلك فإنَّ صياغته بـ[قيل] فيها رائحة رفض وعدم إقرار بما

قالوه ولوأراد ما ذهب إليه الآلوسي لقاله بضمير المتكلِّم .

وقال أبو العلاء المعري رحمه الله ٣٦٣ هـ - ٤٤٩ هـ في اللامع العزيزي: (الشَّجَب: الهلاك، والمعنى أنَّ الناس مختلفون، فالإجماع لا يقع إلا على الموت الذي لا بد منه، ثم يقع الاختلاف فيه، وقوله: (فَقِيلَ تَخْلُصُ ... في العَطَبِ) الملحدون يزعمون أنَّ النفس تهلكُ كما يهلك الجسم، وقد رُوي عن أفلاطون ورسطا طاليس في ذلك أقوالٌ ، فيذكرون أنَّ أحدهما كان يقول ببقاء النفس الخيِّرة بعد خروجها من الجسم، وأنَّ الآخر كان يقول ببقاء النفس المحمودة والمذمومة، ومن يذهب إلى هذا الوجه يزعم أنها تكون مُلْتِذَّةً بما فعلته من الخير في الدار الفانية)

فهذا الأمر وهذا قوله ولوكان البيتان يفهم منهما شكٌ لقال به ، فأبو العلاء يؤيد ما ذهبتُ إليه من أنَّ أبا الطيب

ينقل ماكان، فإذا كان هذا هو مؤدى الأبيات فليس فيها دليل شكٍ أوحيرة.

وقال الواحدي: يقول: جرى الخُلْف في كلِّ شيءٍ حتى لم يتفق الناس إلا على الهلاك، وهو أنَّ منتهى الحيوان أن يموت فيهلَك. ثم قال: والخُلْف الحقيقي في الهلاك، وهو ما ذكره في قوله: فقيل تخلص... في العَطَب] يريد بالنفس الروح ، والناس مختلفون في هلاك الأرواح، فالدهرية والذين يقولون بقدم العالم يقولون: الروح تفنى كما يفنى الحسم، والمؤمنون بالبعث يقولون: الروح تسلم من الهلاك ولا تفنى بفناء الأجسام.

قلت: فالواحدي يرى ما سبق من معنى، فلا يؤخذ أبوالطيب بتبعة الرواية ويُحمَّل ما لا يعتقد، أعني أنه روى ما يقال في شأن الروح فلا رأي له في هذه المسألة.

وقال العكبري رحمه الله: (المعنى: يريد أنَّهم يتخالفون في كل شيء والإجماع على الهلاك، فكلهم يقول: إنَّ منتهى الناس والحيوان الموت، فيهلكون ، ثم تخالفوا، فقال قومٌ: هل تموت النفس بموت الجسم، أم تبقى حية لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، وقال قومٌ: هل نبعث إذا مُتنا وقال قوم: إذا دخلنا النار أقمنا فيها سبعة أيام بقدر عمر الدنيا، والخُلْف في الموت كثير، وهم قد أجمعوا عليه بغير خلاف، والخلاف فيه كثير وقد بينه فيما بعد بقوله:

فَقِيلَ تَخْلُصُ نَفْسُ المَرْءِ سَالِمَةً   وقِيْلَ تَشْرَكُ جِسْمَ المَرْءِ فِي العَطَبِ

وقول العكبري: [سبعة أيام بقدر عمر الدنيا] هذا على مذهب من يرى أنَّ الدنيا سبعة آلاف سنة؛ لأنَّ يومًا عند الله بألف سنة، وهذا مذهبٌ رده استئثار علم الله بقيام الساعة،

ولو أُخذ بهذا لكان كلُّ الأحياء يعلمون متى تقوم الساعة، وكذلك من أسباب رده أنَّه لا أحد يعلم متى قامت الدنيا، والخوض بهذا لا طائل وراءه والغنيمة في العمل استعدادًا لقيام الساعة انطلا قًا من قوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله متى الساعة فقال عليه الصلاة والسلام:(ماذا أعددت لها).

قلت: إن قوله: [فقيل...] يؤكد أنه يحدِّثُ عما سمع ، كما يحدث بعضنا فيقول : تخالف الكفار في أمر القرآن ، فقومٌ قالوا : سحر، وآخرون قالوا شعر، وآخرون قالو كهانة، فهل نكفر من نقل هذا من غير أن يعتقده، ونتيجة كل ما قال شراح الديوان هؤلاء تبطل ما فهمه الآلوسي.

وقبل أن أتجاوزَ الكلام عن هذه الأبيات إليك بيتًا من أبياتٍ سترد لا حقًا إن شاء الله، وهي من شعر الآلوسي،

وهو قولُ الشكُّ والحيرةُ فيه صريحان بلا تأويل مما يؤكّدُ أنَّ المعنى الذي رمى به أبا الطيب نشأ في ذهن الشاعر ثم نقله:

ألا كلُّ ما أدريه دنيا أعيشها ... وماذا وراء القبر لست بداري

اقرأ هذا البيت ثم انظر أيُّ الرجلين أصرحُ في الدلالة على الشك.

ومما رآه الآلوسي مفضيًا إلى الإلحاد قول أبي الطيب في رثاء عمة عضد الدولة:

لابد للإنسان من ضجعه ... لا تقلب المضجع عن جنبه

ينسى بها ما كان من عجبه ... وما أذاق الموت من كربه

نحن بنو الموت فما بالنا ... نعاف ما لابد من شربه

تبخل أيدينا بأرواحنا ... على زمان هي من كسبه

فهذه الأرواح من جَوِّه ... وهذه الأجسام من تربه

لــو فكــر العاشــق في منتهــى حســن الــذي يســببه لــم يســبه
يمــوت راعــي الضــأن في جهلــه موتـــة جـــالينوس في طبـــه
وربمـــا زاد عـــلى عـــمره وزاد في الأمـــن علـــى ســـربه
وغايـــة المفـــرط في ســـلمه كغايـــة المفـــرط في حربـــه

قال: الآلوسي: (وأرجو أن نلاحظ الشطر الثاني من البيت الأول فإنه صريح بإنكار البعث الجسدي على الأقل)

وكما سلف فإني أعرض البيت على مجموعةٍ من القضاة استبين به رأيهم ثم أقول بما أرى، ولنبدأ بأبي الفتح في فسره:

لا بــد للإنســان مــن ضــجعةٍ لا تقلــبُ المضْــجَعَ عــن جنبــهِ

قال: (يريد الموت) وهذا كل ما قاله أبو الفتح.

أبو العلاء في معجز أحمد بتحقيق الدكتور عبد المجيد دياب:(لابد للإنسان من الموت، فعبر عنه بالضجعة ،ثم

قال: تلك الضجعة لا تقلب المضجع عن جنبه. يعني :لا بد للإنسان أن يرقد رقدةً لا ينقلب فيها من جنبٍ إلى جنب، ولا ينتبه منه أبدًا ، ويعني بها ضجعة القبر) قلت : وقول أبي العلاء (ولا ينتبه منه أبدًا) فيه رائحة فهم الآلوسي، لكن لو نظرنا إلى البيت نظرةً لغوية نحوية لوجدنا أنه قال: لا تقلبُ، ولم يقل لن تقلب، وفرقٌ بين النفي بلا وهو نفي لا يفيد التأبيد وبين النفي بلن المؤبِّدة .

أبو العلاء في اللا مع العزيزي: وردت القصيدة في ص٢١٥ ولم يُثبت هذا البيت، وهو في اللامع لا يلتزم إيراد القصيدة كاملة على كلِّ حال، لذلك تجد أنه يقول في مفتتح القصيدة: ومن أبياتٍ أولها أويقول: ومن التي أولها أو نحو هذا.

قال الواحدي: يقول لا بد للإنسان من اضطجاع في

القبر لا يقلبه ذلك الاضطجاع عن جنبه يعني يبقى كما اضطجع ولو قال : "لن"بدل "لا "كان أحسن لأنَّ لن تدلُّ على التأبيد)

واعتراض الواحدي وتفضيله" لن" على" لا " يؤيد أنَّ أبا الطيب يؤمن بالبعث، ولإيمانه بالبعث ترك لفظ التأبيد" لن " وجعل مكانه " لا" النافية نفيًا منقطعًا أي له نهايةٌ يقف عندها، وهو اعتراض ونقد يشفع لأبي الطيب عن الكفر، وإن لم يُرِدْ الواحدي هذا الفهم، أعني كفر أبي الطيب ولكنه يرد على الآلو سي.

ثم قال الآلوسي ــ وبئس ما قال ــ : (وأنا أجزم أنَّ الشاعر لو كان يعتقد بنعيم أخروي ما بخل به على من في سن عمة عضد الدولة ومن في منزلتها . ولكن الشاعر لا يعتقد فلا نكلفه ما لا يعتقد) وقوله: [فلا نكلفه ما لا يعتقد]

هذه حذلقة منه واستظراف يسدُّ النَفَس، وأنا سأضع يده على ما يقضي على جزمه ، وهذا من القصيدة نفسها حيث قال أبو الطيب:

أستغفر الله لشخص مضى كان نداه منتهى ذنبه

فإذا كان الشاعر لا يعتقد بنعيم أخروي فلِمَ يستغفر؟!

ثم ازداد في شطحته حين وقف عند:

وغايـــة المفـــرط في ســـلمه كغايـــة المفـــرط في حربـــه

حيث قال:(وهو قد ذكرأنَّ غاية المفرط في السلم كغاية المفرط في الحرب، فأي صراحةٍ بعد هذه ولوكان يعتقد بحياة أخرى بعد الموت لأعطى للمفرط في سلمه نصيبه من جنة ولأعطى للمفرط في الحرب نصيبه من نار أو لفعل عكس ذلك إذا كانت الحرب جهادًا أو كان الشاعر مسلمًا وكيف يعتقد مؤمن بالجزاء الأخروي أنَّ الذي يعمل خيرًا

كالذي يعمل شرًا في النهاية؟ إنَّ المتنبي في هذه القصيدة أقرب ما يكون إلى من يسميهم مؤرخوالعقائد والمذاهب من مؤرخينا القدامى بأهل الطبائع والدهرية الذين يرون أنَّ الإنسان مآله الفناء كسائر الأشياء من نبات وحيوان)

قالوا عن هذا البيت:

أبو الفتح في الفسر: (أي كلُّ شيءٍ إلى فناء وهلاك)

أبو العلاء في معجز أحمد: (يقول عاقبة من بالغ في الاحتراز وتجاوز الحد في المسالمة وترك الحرب، كعاقبة المبالغ في التغرير بنفسه، والعرض للحرب يعني : غاية كل واحد منهما الموت الذي لا محيص لأحد عنه، فما بالنا نجزع منه؟!)

وأنا أقول: إن غاية المعنى الذي أراده أبو الطيب أنَّ الموت لامحالة مدركٌ كلَّ حي يستوي بهذا من يميل إلى

السلم وإيثار السلامة والدعة ومن يخوض الحرب مقدمًا على المهالك، ولا أثر فيه لفهم الآلوسي(ولو كان يعتقد بحياة أخرى بعد الموت...)

ثم قال الآلوسي: (ولنمضِ مسرعين إلى قوله:

بنفسي وليد عاد من بعد حمله إلى بطن أم لا تطرِّق بالحمل

(لنجد فيه أنه ينكر البعث فإنَّ هذا الوليد الذي حملته الأرض في حياته عاد إلى بطنها وهي من عادتها أنها لا تخرج الولد من بطنها)

يقول الآلو سي: "مسرعين "وأنا أقول: على مهلك يا آلوسي؛ فالإيضاع يجهد الراحلة والطريق طويل، وكما ورد في المثل في الحث على الصبر والتأني في طلب الحاجة.[الليل طويل وأنت مقمر]

قال أبو الفتح في الفسر: (يعني الأرض، ويقال طرَّقت

الناقة بولدها: إذا نشب في رحمها فلم يخرج، وناقةٌ مُطَرِّق وقطاةٌ مُعَضِّل)

أبو العلاء في اللامع العزيزي:

(الناس يقولون بنفسي فلانٌ فيرفعون. وكلامٌ فيه حذف ، وقد يجوز أن يكون على تقدير قولهم: المفدَّى بنفسي فلانٌ، فيكون وليدٌ مرفوع لأنه خبر ابتداء محذوف، ولا يمتنع أن يكون يُفَدَّى بنفسي وليد، فيرتفع بأنه اسم مالم يسمَ فاعله، وهذا إخبار، ويكون فيه معنى التمني، أي: ليتني فديته بنفسي. وأراد بالأم الأرض أي أنها وإن كانت أمًّا فهي لاتُطْرِّق بالحمل؛ يقال طرَّقت الوالدة إذا تعسَّر عليها خروج الولد، وكذلك القطاة إذا صعُب خروج البيضة)إهـ

فالتعسر وإن شقَّ إلا أنه يؤول إلى الولادة، وقد مرَّ قبل

قليل أنَّ أباالفتح يسمي نشوب البيضة في القطاة تعضيلا ولا يسميه تطريقا، وهو أخصُّ بعلم اللغة من أبي العلاء.

الواحدي:(يقول: أفدي بنفسي مولودًا صار بعد حمل الأم إياه إلى بطن أمٍّ ، وهي الأرض لا تُطَرِّقُ بالحمل:أي لا يعسر عليها خروج من ضمته في بطنها ، من قولهم " طرَّقت المرأة "إذا عَسُرت عليها الولادة، وإنما قال "لا تطرق" إما لأنها جماد لا توصف بالتطريق، وإن كانت تسمى أُمًّا ، وتكون الأموات في بطنها ، وإما لأن الله تعالى قادرٌعلى إخراجهم من بطنها بسرعة وسهولة كما قال عزَّ من قائل: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ [النازعات:١٣] ﴿ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾ [النازعات:١٤] وفسَّر البيت على الضد، وقالوامعنى "لا تطرق بالحمل": لا تُخرج الولد من بطنها، والتطريق إظهار الطريق، من قولهم طرِّق طرِّق أي خلِّ الطريق.

يقول: فالأرض أمٌّ للموتى لا يخرجون منها، ثم قالوا: إنَّ المتنبي كان لا يقول بالبعث.

والبيت على ما فسرنا ، وتطريق الأم لا يفسر بما ذكروا والمشهور المعروف من قولهم طرَّقت الناقة إذا عَسُر عليها خروج الولد من بطنها، وطرَّقت القطاة ببيضها)

قلت: إذاكان معنى " لا تُطرِّق من قولهم " طرَّ قت المرأة "إذا عَسُرت عليه الولادة، فهذا يدلُّ على أنه يؤمن بالبعث فالأرض ستخرج من في بطنها ،وإن يعسر عليه الإخراج،والواحدي لا يرى التفسير الذي يفضي إلى الإقرار بالعدم.

وكأن الواحدي حين قال: (ثم قالوا: إنَّ المتنبي كان لا يقول بالبعث) لا يقرُّ من ذهب إلى رمي أبي الطيب بهذا فهم تمحلُّوا المعنى ثم قالوا به عليه.

العُكْبَري:(المعنى يقول بنفسي هذا المولود الذي صار بعد حملها إياه إلى بطن أمٍ يريد الأرض لا يعسر عليها خروج من ضمته.

فهذه أقوالهم في هذا البيت ، والواحدي لم يغفل عن قوله بمن قال بالمعنى الذي أراده الآلوسي ولكنه رده.

ثم دخل على الفقرة الثانية: [المتنبي لا يكترث بالحياة] ومما جاء تحتها:

(ومما يقوي هذا الرأي الذي أراه في المتنبي هذه النزعة التي يسميها الغربيون بالنزعة الأبيقورية... أبيقور الذي يرى أنَّ معكرات السعادة البشرية هي الخوف من عقاب الآلهة لما بعد الموت ولذلك ينبغي أن لا نخاف لأنه ليس بعد الموت شي... والمتنبي حين دعا إلى عدم الاكتراث إنما دعا إلى عدم الاكتراث بالموت أو بأي شيء

خارج الحياة)

ولنلاحظ أنَّ الباحث ألزم المتنبي بفكرة " الأبيقورية" فهو إلزام من الآلوسي لأبي الطيب بسبب ما هو عليه من شائبة في فكره سيأتي الحديث عنها.

هذه الفقرة لا تختلف عن فقرة[المتنبي لا يؤمن بالبعث] إلا بالاسم فقط، وإلا فإنَّ المؤدى واحد؛ لهذا فإنَّ ما قلته عن الفقرة السابقة أقو له هنا فليس هناك أشعارٌ لأبي الطيب تقطع بأنه يقول بفكرة: [ينبغي أن لا نخاف لأنه ليس بعد الموت شيء فإنَّ النفس التي تتكون من هواء وعناصر أخرى تتبدد بعد الموت ... لذلك لا معنى للخوف من الموت]

والشعراء الشجعان جرت سنة قولهم أنهم لا يهابون الموت لا لأنهم" لأنه ليس بعد الموت شيء " وهذا فهمٌ

لا شك سقيم واستنباط أشد سقمًا ؛ فلم نر شُرَّاح الدواوين يقولون بهذا عند شرح الأبيات التي تحث على الإقدام وعدم الاكتراث بالموت من أيٍّ من الشعراء.

الفقرة الثالثة: المتنبي ضعيف الإيمان بالله ومبطل للتدبير: قال:(حينما يذكر أديبٌ أوشاعر على الخصوص اسم الله في معرض أشعاره... فإنه لا يصح أن نستند على هذه الأقوال كدليل على أنَّ قائلها مؤمن بالله؛ فإنَّ مثل هذه الأقوال تجري على لسان الشاعر وأي إنسان يعيش في بيئة دينية وتشيع فيها هذه الاستعمالات ويتردد فيها اسم الله كثيرًا بحكم العادة)

وهذا الفهم والتأويل لخبايا الناس هو من أدلِّ الدلائل عندي على أنَّ الباحث يسقط ما في نفسه من شكٍ وحيرة على أبي الطيب وهنا لا شك عندي بأنه يحدث عن

خلجات نفسه هو ودليلي قادم، وهذه الفقرة داخلةٌ دخولا مؤكدًا في الفقرة الأولى التي تحدث فيها الباحث عن إنكار أبي الطيب للبعث، فلا معنى لرميه بضعف الإيمان بالله وهومنكر للبعث، فضعف الإيمان يوصف به جانب من جوانب المكلَّف، أما إن كان منكرًا للبعث فهذا هدمٌ لإيمانه بالكلية.

كذلك قوله: [فإنه لا يصح ... العادة] هو من باب الإصرار على أخذ المتهم وإن لم تثبت إدانته وإن وُجد ما ينفيه أويضعِّفه، وهو يؤكد أنَّ الباحث يعتقد ثم يستدلُّ على رأيه، فهو أوقع في نفسه إنكارأبي الطيب للبعث؛ والاعتقاد قبل الاستدلال من المزالق التي يقع فيها الباحثون، فالباحث هنا لا يبحث عن حقيقة وإنما يعزز رأيه الذي استقرَّ في نفسه، فإن وجد في طريقه ما ينقض ما

ذهب إليه رده بأسباب واهية أو تجاهله.

ثم قال في هذ الفقرة (ومن يريد أن يتعرف على عقيدة إنسان فعليه أن يتلمس ذلك في مواقفه ... وعليه أن يعتمد على الأشعار والأقوال) قوله: " ومن يريد ..." الصحيح من يرد لأنها اسم الشرط.

قلت: أين يجد الآلوسي الدليل الصريح على مثل هذه الكبيرة[إنكار البعث] فالرمي بمثل هذا لا يصح أن يؤخذ بالتأويل لكلام يحتمل غير رأي وإنما ينبغي أن يكون منزع الدليل صريحًا، فالأمر خطير، فها نحن استعرضنا أدلته الشعرية فلم نجد أنها تَثْبُت أمام البحث.

وهذه النتائج التي قال بها الآلوسي لم أجدها عند غيره، حتى خصوم أبي الطيب وألداؤه، لم يقولوا بهذا، وأحسب أنهم لووجدوا مساغًا إلى هذا لطاروابه، ولكنه

رأيٌ افترعه هذا الكاتب.

والثعالبي ـ رحمه الله ـ حين وضع في اليتيمة مبحثًا مطولاً بعنوان: [في ذكر أبي الطيب] ذكر مآخذ تتعلق في أدبه، فتحدث عن سرقاته، وعن قبح مطالعه، وعن اتباع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء، وعن استكراه اللفظ وتعقيد المعنى ، وذكر كثيرًا غير هذا، ثم عطف على شيءٍ من عيوبه فقال:...إساءة الأدب، ضعف العقيدة ورقة الدين، هذا منتهى مارآه عن دينه وشتان بين من رقَّ دينه وبين من خرج عن الدين بالكليّة منكرًا للبعث.

والصاحب حين استقصى مساوئ شعر أبي الطيب لم يذكر إلا ما ينقصه في شعره، وهو موتور ولووجد في الدين مطعنًا لاهتبله.

يواصل استطراده فيقول:(... أقول إذا كان المتنبي

يرى في وجود كافور ما يحمل الناس على الشك فأحْرِ بنا أن نقول إنَّ المتنبي لا بد أن يكون ليس شاكًا في وجود الله فقط بل متيقنًا من هذا فهو قد أسرف في التهكم على الزمان والدهر وأسرف في الشكوى من الحياة وأمعن في تصويرها شريرة طبع أناسها على الغدر إلى غير هذا مما نجده في أشعاره يقول المتنبي في هجاء كافور):

أَمـا في هَـذِهِ الـدُنيا كَـريمُ   تَـزولُ بِـهِ عَـنِ القَلـبِ الهُمـومُ
أَمـا في هَـذِهِ الـدُنيا مَكـانٌ   يُسَـرُّ بِأَهلِـهِ الجـارُ المُقـيمُ
تَشـابَهَتِ البَهـائِمُ وَالعِبِـدّى   عَلَينـا وَالمَـوالي وَالصَـميمُ
وَمـا أَدري أَذا داءٌ حَـديثٌ   أَصـابَ النـاسَ أَم داءٌ قَـديمُ
حَصَلتُ بِأَرضِ مِصرَ عَلى عَبيدٍ   كَـأَنَّ الحُـرَّ بَيـنَهُمُ يَتـيمُ
كَـأَنَّ الأَسـوَدَ اللابِـيَّ فـيهِم   غُـرابٌ حَولَـهُ رَخَـمٌ وَبـومُ
أُخِـذتُ بِمَدحِـهِ فَرَأَيـتُ لَهـواً   مَقـالي لِلأُحيمِـقِ يـا حَلـيمُ

وَلَمّـا أَن هَجَـوتُ رَأَيـتُ عِيّـاً ... مَقـالي لِاِبـنِ آوى يـا لَئـيمُ

فَهَـل مِـن عـاذِرٍ في ذا وَفي ذا ... فَمَـدفوعٌ إِلـى السَـقَمِ السَـقيمُ

إِذا أَتَـتِ الإِسـاءَةُ مِـن لَئـيمٍ ... وَلَـم أَلُـمِ المُسـيءَ فَمَـن أَلـومُ

وقد أورد الآلوسي الأبيات الأربعة الأولى فرأيت أن ذكر كامل القصيدة وهي عشرة أبيات ، قرأت الأبيات فلم أجد فيها ما يؤيد قوله :[فأحْرِ بنا أن نقول إنَّ المتنبي لا بد أن يكون ليس شاكًا في وجود الله فقط بل متيقنًا] وها هي الأبيات أمامك، وهي بلا شك صرخةٌ صارخةٌ بالشكاية من الزمان وأهله، ولكنها لا تشير إلى ما ذهب إلى الألوسي. إلا أن تكون سقت دفينًا في نفسه، فأحالها تصويرًا لما يعتلج في ذهنه، وهذا هو الأقرب الأحقُّ عندي.

استعرضت شرح هذه الأبيات في بعض شروح ديوانه، فطوَّفت في الفسر فلم أجد فيه ما يؤيد مذهب الألوسي،

وكان الذهن منصرفًا إلى شرح أبي العلاء فهو مظنة مثل هذه الشكاية التي زفر بها أبو الطيب، ومظنة التأويل الذي ذهب إليه الآلوسي، لكني لم أجد ما يشير إلى شيءٍ من هذا لا في اللامع العزيزي ولا في معجز أحمد، كذلك الواحدي لم يشر في شرحه إلى شيءٍ من هذا اليقين الذي افترعه هذا الآلوسي.

الفصل الرابع

وقفة مع طرفٍ من شعر الآلوسي

وماذا علينا لو قرأنا طرفًا من شعر الآلوسي ؟:

ألا كـل مـا أدريـه دنيـا أعيشـها وماذا وراء القبـر لسـت بـدار

وأخرى بها أدري اشتهاء دوامها لـو أنهـا مـن علـقم ومـرار

أرى هذه الدنيا على اللؤم وطدت وكـل مـسار ينتهـي بخـسار

إنَّ هذا القول أصرح وأوضح لا في الشكاية بل بسبب الدهر، فهو في نظره مطويٌّ على اللؤم، وليس في هذه الدنيا مسار إلا تكون نهايته خسرانا، ولم يستثنِ مسار المؤمنين.

ثم رغَّب وحث الألو سي على تأمُّل البيت التالي لأبي الطيب:

وَمـا أَدري أَذا داءٌ حَـديثٌ أَصـابَ النـاسَ أَم داءٌ قَـديمُ

لأنه يمثل عنده حقيقة ما ذهب إليه، فالبيت أمامك فهل تجد فيه ما يجعلك متيقنًا من أنَّ أبا الطيب شاكٌ في وجود الله؟!

وما زال الأمر يزداد يقينًا عندي بأنَّ الباحث يتنفس أنفاسه فيُعلِّق ما به من قلق واضطراب على أبي الطيب، فهو وجد بذرة تغذي ما في نفسه فاستخرج مآخذها عند أبي الطيب بالمناقيش والتعسف ولكنه لم يفلح.

ولورُميَ كلٌّ من شكى من زمانه بما رمى به الآلوسي أبا الطيب لخرج كثيرٌ من المؤمنين من إيمانهم.

بل هذه أمُنا عائشة رضي الله عنها تقول فيما يرويه عروة بن الزبير عنها حين سمعت قول لبيد رضي الله عنه:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خَلْفٍ كجلد الأجرب

رحم الله لبيدًا كيف لو أدرك زماننا هذا، وتقوله رضي الله عنها مع أنَّها كانت تعيش مع الصحابة الكرام الذين منهم من بُشر بالجنة رضي الله أجمعين، ثم لمَّا سمع هذا الزهري رحمه الله قال: رحم الله عروة كيف لو أدرك زماننا

هذا؟ ويُروى عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: أدركت الناس ورقًا لا شوك فيه، فأصبحوا شوكًا لا ورق فيه وهذه أقوال من هم من خيار الأمة، والقائمة تمتد ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

ولكني أختمها ببيتين مرا لأبي الحسن التهامي رحمه الله:

فالدهرُ يخدعُ بالمنى ويغصُّ أن ... هَنّا ويهدمُ ما بنى ببوار

ليس الزمانُ وإن حرصتَ مسالمًا ... خُلُقُ الزمانِ عداوةُ الأحرارِ

وبعد هذه الأبيات ذكر أفراد أبيات رآها محققةً لفهمه ولكنها ليست كذلك، ويجري عليها ما جرى على المقطوعة السابقة.

وأختم الحديث عن كلامه في شك أبي الطيب وحيرته وشكايته من الدنيا وأنه مجبورٌ على أن يعيشها كما هي

أختم هذا بهذه الأبيات من قول الآلوسي وهي من قصيدة منشورةٍ في موقع "دار الرسيس للنشر والتوثيق الإلكتروني"، مجلة أدبية شعر قصة مقال. بعنوان "شعراء العصر الحديث" بقلم د. فالح الكيلاني:

سلامٌ على بغدادَ عمرًا سكنتُها فطبتُ بها عيشًا وطاب جواري
يقولون عند الموت يصدقُ ميِّتٌ ومن بات يُوَرى ليس قط يواري
ألا كلُّ ما أدريه دنيا أعيشُها وماذا وراء القبر لست بدار
وأخرى بها أدري اشتهاءَ دوامِها لو أنها من علقمٍ ومرار
أرى هذه الدنيا على الَّلؤم وطدت وكلُّ مسارٍ ينتهي بخسار
وتبدو لذي فكرٍ سويٍ ومنطقٍ سفينًا هوى في البحرِ دون قرار
ولكنَّها كلُّ المتاحِ وأننا أُسَارى وماذا يُرتجى بإسار

البيت الثالث فيه شكٌّ صريح بما بعد الموت، وفي الرابع له نظرةٌ أخرى إلى الدنيا، وهي الرغبة في الدوام بها

وإن كانت علقما ،وهذا المعنى رمى به أبا الطيب، والبيت الخامس سبٌ للزمان صريحٌ أيضا، والبيت السادس يرى أنَّ الفكر والمنطق السويين يهديانه إلى أنَّ الدنيا سفينة عصفت بها الأمواج فأغرقتها فهي في لُجَجٍ ولم تسقر على قعر، فهولا يدري أين المستقر ، والبيت السابع يؤكد اضطراره للعيش فيها فهي المتاح وغيره مجهول، وأنَّه أسيرٌ لا يستطيع إدراك مآله فهذه القطعة تؤكِّد أنه يعاني من قلقٍ أسقط مؤداه على أبي الطيب.

وأؤكد أنَّ الأبيات التي اتخذها الآلو سي دليلاً على حيرة أبي الطيب وشكه لا تنهض دليلا بوضوحها بالشك كما ظهر عنده هوحين قال:

ألا كل ما أدريه دنيا أعيشها وماذا وراء القبر لست بدار

وقد وضعت القصيدة كاملةً في نهاية منا قشتي للباحث

رحمه الله؛ وأوجزت عنها كلمةً نقدية.

ثم دخل الآلوسي إلى القسم الثاني من بحثه: [القسم الثاني نبوته] ومما جاء فيه

ص٢٥٢: (ينقل الخطيب البغدادي في [تار يخ بغداد] روايتين عن معاصر للمتنبي: الأولى ـ أ ـ عن علي بن الحسن التنوخي عن أبيه قال حدثني أبو الحسن محمد بن يحي العلوي الزيدي أنَّ المتنبي لما خرج إلى كلب وأقام فيهم ادعى أنه علوي حسني ثم ادعى بعد ذلك النبوة ثم عاد يدعي أنه علوي إلى أن أشهد عليه بالشام بالكذب في الدعوتين وحبس دهرًا طويلاً وأشرف على القتل ثم استتيب وأشهد عليه وأطلق)

الصواب : " الدعويين" لأنَّ الدعوتين مثنى دعوة، ودعويين مثنى دعوى، وهذا هو المراد.

هـذه الروايـة أبطلهـا محمـود شـاكر رحمـه الله في كتابـه "المتنبـي "ص٢٠٧ : (فأمَّـا أن يـدعي العلويـة ثـم يعـود فيدَّعي النبوي فهو قولٌ لا بأس به ، ولكنَّ العجب أنه بعـد هذا عقَّب على " النبوة" بلفظ التعقيب " ثـم " فقـال " [ثم عاد يدعي أنه علوي] فالذي يدَّعي النبوة ويبايع بها، كما يقـول اللاذقـي الصـدِّيق !!، لا يعقـب علـى هـذه الـدعوى بالعلويـة . فادعـاء الرجـل النبـوة ، ثـم انحطاطـه منهـا إلـى العلوية ، إكذاب لنفسه ، وإقرارٌ منـه بالمخرقـة علـى النـاس والعبث بهـم ، ولا يكون ادعى النبوة ثم يـنحط منهـا إلا بعـد قتال يرغم فيه على التسليم ، ولا شك أنه لو فُعِل بصـاحبنا ذلك لحُبس لوقتـه قبـل أن يـتمكن مـن القيـام بالـدعوة إلـى نفسه مرة أخرى بين بني كلب فيدَّعي العلوية. ثم لو أنه كان مطلقًا ، ورجـع عـن النبـوة إلـى ادعـاء العلويـة ، لكـان ذلـك

كافيًا في تكذيبه وتحقيره عند من سلَّمواله بما ادعى من علويته بدءا ونبوته بعدُ، فهذا وجهٌ في إبطال هذه النص)

ب ـ والرواية الثانية عن علي بن المحسن التنوخي عن معاصر للمتنبي هو أبو علي ابن أبي حامد يقول الأخير : سمعت خلقا بحلب يحكون ـ وأبو الطيب المتنبي بها إذذاك أنه تنبأ في بادية السماوة ونواحيها إلى أن خرج إليه لؤلؤ والي حمص من قبل الإخشيدية فقاتله ونفره ... تؤكد هذه الرواية على أنَّ سبب الحبس هو ادعاؤه النبوة)

قلت : إنَّ إبطال هذه الرواية يأتي من وجوه:

أولاً ـ الإبطال من نفس سياق الخبر: جاء فيما نقله الآلوسي عن أبي علي بن أبي حامد: (ولنعد إلى الرواية نفسها مواصلين سماع ما يقوله ابن أبي حامد هذا... كان المتنبي إذا شوغب في مجلس سيف الدولة ــ ونحن إذذاك

بحلب ـ نذكر له هذا القرآن وأمثاله مما كان يحكى عنه فينكره ويجحده ، قال: وقال له ابن خالويه النحوي يوما في مجلس سيف الدولة: لولا أنَّ الآخر جاهل ما رضي أن يدعى بالمتنبي لأن متنبي معناه كاذب ومن رضي أن يدعى بالكذب فهو جاهل ، فقال له أنا لست ارضى أن أدعى بهذا وإنما يدعوني به من يريد الغض مني و لست أقدر على الامتناع) أهـ

فإذا كان المتهم ينكر ويجحد ويقول: [وإنما يدعوني به من يريد الغض مني و لست أقدر على الامتناع] فكيف نلزمه إلا بدليل يقطع إنكاره وجحوده، ولم يذكر أبو علي بن أبي حامد دليلا، ثم إنَّ قوله: [إذا شوغب] دليل على أنهم يريدون مساءته لا لتصديقهم الخبر ولكن حركهم الحسد وحُبُّ الإغاظة.

ثانيًا ــ إبطال الثعالبي. أما قوله : [على أنَّ سبب الحبس هو ادعاؤه النبوة] فقد رده الثعالبي في اليتيمة ج١ص١٤١ : (وبلغ من كبر نفسه وبعد همته أن دعا إلى بيعته قومًا من رائشي نبله على الحداثة من سنه والغضاضة من عوده. وحين كاد يتم له أمر دعوته تأدى خبره إلى والي البلدة، ورفع إليه ما همَّ به من الخروج فأمر بحبسه وتقييده ، وهو القائل في الحبس قصيدته التي أولها[من المتقارب]:

أيا خددَّ الله ورد الخدودِ وقد قدود الحسان القدودِ)

قلت: وهذه الرواية هي الأقرب لأنَّ شغف الولا ية هو المتمكن من نفسه ورافقه بقية عمره، وهو أيضًا مما يشاركه فيه كثير من الناس .

وورد في كتاب" الديوان/ ديوان أبي الطيب المتنبي وأخباره" جمعه واعتنى به إبراهيم بن محمد بن حمد

البطشان ورد حول هذه القصيدة التي منها هذا البيت : (وله أيضًا ، وقد امتَنَعَ من عَمَلِ الشِّعرِ بمصْرَ، وسألَه جماعةٌ مِن أهلِ الأدبِ بها إثْبَاتَ بعضٍ مِمَّا كانَ أسقَطَه مِن شِعْرِه ؛ رَغبةً فيه ، فأجابَ إلى ذلكَ ، فممَّا أثبتَ قولُه في صِباه ، وقد كان قومٌ وَشَوا به إلى السُّلطانِ ؛ وهو إسحاقُ بنُ كَيَغْلَغَ ، ولكنَّ المتنبي لم يذكُر اسمَه في ديوانه ؛ لبُغْضِه له ، وكان حَبَسَه سنتين ، وكذَبوا عليه ، وقالوا : قد انقَادَ إليه جماعةٌ مِن العَرَبِ ، وقد عَزَمَ على أخذِ بَلَدِكَ ،حتى أوحَشُوه مِنه ، فاعتَقَلَه وضَيَّقَ عليه ، فمدَحَه وأنْفَذَها إليه ، ولم يُنشدهُ إياها.) قلت: هذه الرواية هي الأقرب إلى الصواب لأنها تأتي مع ما هو عليه من حسد الحسَّاد، ومؤداها نفي ادعاء النبوة أو العزم على الخروج على السلطان.

ثالثًا ــ في بحثٍ بعنوان:" نظرة إجمالية في حياة

المتنبي" لمعروف الرصافي(ومما يدل على كذب هذا الخبر قولهم إنه لما فشا أمره، خرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الإخشيد فاعتقله زمنًا، ثم استتابه ، وأطلقه. قالوا هذا والسماوة ليست من أعمال الشام، بل هي من أعمال العراق ، فكيف يخرج إليه والي حمص ويعتقله؟)

رابعًا ـ جاء في ص١٢ من كتاب" الديوان/ ديوان أبي الطيب المتنبي وأخباره" جمعه واعتنى به إبراهيم بن محمد بن حمد البطشان، الطبعة الأولى ١٤٤٥هـ:(قال علي بن عيسى النحوي ٣٢٨ـ ٤٢٠هـ رحمه الله : قال لي أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن : كان يثقل علي أن أدعى المتنبي دهرًا إلى أن أنست به، وقبَّح الله أهل الكوفة يضيقون في الأسماء على أنفسهم فلا يفرقون بين بعضهم وبعض إلا بالألقاب)إهـ فهو لقبٌ لزمه في صباه

وهو في الكوفة.

وفي بحث بعنوان: [أثر النشأة الكوفية في شعر المتنبي] للدكتور ستار عبد الله جاسم، يبيِّن فيه الباحث المكانة الدينية للكوفة زمن وجود المتنبي فيها، وهذه المكانة من كثرة المساجد وحلقات الدرس من علوم الدين وطبقات أهل الدين، كلُّ هذا مانع قوي من أن يدعي النبوة، وإنما هو لقبٌ ألزمه به الأتراب لما رأوا من نبوغه وتفوقه عليهم.

بعد هذا أدخل إلى كلام الآلوسي عن إنكار أبي الطيب للبعث فقلت: ثم إنَّ الكلام عن إنكار البعث بأسباب واهية وإلزامات أُجبر عليه أبو الطيب أوحت إلي أن الكاتب يحدِّث عن مكنونه، وعما يجري في سره وبينه وبين نفسه، و إذا ضممت هذا إلى شواهد أعرفها بحياتي عن أناسٍ كانوا يُقسَرون على التدين ويُكِنُّون في أنفسهم ما

لا يستطيعون البوح به إلا لخاصتهم وما يظهر على فلتات اللسان، فلما بعدوا عن الرقيب أصابهم من الانتكاس ما قلب حياتهم ،ولا أظن الألوسي إلا واحدًا من هؤلاء ، وأنه وجد متنفسًا ينفث فيه فنفث، فدعاني هذا إلى البحث عن شيءٍ من سيرته .

فرأيت أنَّ من مقتضيات تحليلي لهذا البحث التعرف على سيرة الباحث ومنطلقاته المنهجية والعلمية.لأعرف لما ذا قال بهذا الرأي الذي لم يُسبق إليه حسب علمي ولم يأتِ بدليلٍ قاطع، فقلت في نفسي قد يكون هو لديه شك قبل هذه القراءة،وحين قرأت استطراده في الفقرة الثالة التي عنوانها: [المتنبي ضعيف الإيمان بالله ومبطل للتدبير] فقد قال: (إن الازدواج بل وأكثر من الازدواج يصيب الشخصية المتمردة الملحدة التي تعيش ــ وكانت ربيت ـ في بيئة

متدينة.فهو في الوقت الذي يذيع بين خاصته أو مع نفسه متأملا أو مدونا شكه في الله وشكه في وجود الشياطين والملائكة مما لا يملك نفسه في المواقف العادية من أن يقسم بالله كما يقسم سواه بل وتجري على لسانه. من ذكرها وإدخالها في التعجب وما شابه من حالات بل ربما لا يملك نفسه من الخوف من الشياطين والملائكة معا إذا اختلى مع نفسه أو جاء ذكرها مع الآخرين)

فهذا التحليل لا يقول به إلا من يحسُّ بمسٍّ متمكنٍ منه لا يقدر على دفعه؛ فهو شعورٌ مخالطٌ دمَ قائله، ولا يجرء عاقلٌ أن يقوله عن غيره إلا أن يراه صريحًا من غير تأويل، فهذا حديث نفسٍ عن نفس معينة هي نفس القائل.

وإذا كان الألوسي يقول عن أبي الطيب :"وأسرف في الشكوى من الحياة وأمعن في تصويرها شريرة "فما عسى

أن نقول عنه هو حين نقرأ قوله:

أرى هذه الدنيا على اللؤم وُطِّدت　　وكلُّ مسارٍ ينتهي بخسار

ثم وجدت بعد البحث في سيرته في موقع إيلاف مقالةً منشورة يوم الثلاثاء ٨ أكتوبر ٢٠١٣ – تقول:

(قال عنه الناقد فاضل ثامر رئيس اتحاد الأدباء والكتاب في العراق : عرفنا الدكتور الآلوسي مفكرًا وفيلسوفًا على درجةٍ كبيرةٍ من الوعي والثقافة كما تعرفنا على الوجه الآخر له، وهو أن يكون شاعرًا يمتلك شعرية كبيرة، كما أن الألوسي وبرغم كلِّ ما قدمه لم يُفهم كما يفترض أن يُفهم فيه، فهو ينحدر من عائلة دينية لكنه تمرد بسبب موجات الشك واليقين التي تعتليه، فانتقل الى الفكر الليبرالي وصار يحمل مفهوما عقلانيا وعلمانيا)

فهذا التحليل من ثامر يلتقي مع قول الألوسي: (إن

الازدواج بل وأكثر من الازدواج يصيب الشخصية المتمردة الملحدة التي تعيش ـ وكانت ربيت ـ في بيئة متدينة)

ثم وجدت في موقع " كتاب " مقالة بقلم/ حسن مجيد العبيدي نوفمبر ٨، ٢٠١٣، ومما جاء فيها : (أن تكتب عن سيرة ونتاج شخص بمستوى قامة فلسفية كبيرة مثل (حسام محي الدين الآلوسي)، عليك أن تكون قريبًا منه روحيًا وزمنيًا حتى تستطيع أن توفي الرجل حقه، وما كاتب هذه السطور إلا واحداً من هؤلاء الذين كانوا شديدي القرب من أستاذه وشيخه وأبيه الروحي الآلوسي، حتى يوم انتقاله إلى الرفيق الأعلى وهو على فراش الموت، إذ كانت مدة ملازمته لأستاذه ومعلمه الروحي الفيلسوف الآلوسي مدة زمنية تقرب من ٣٥ عامًا... وليتخصص في الفلسفة الإسلامية، بأطروحة حملت عنوان مشكلة الخلق

في الفلسفة الإسلامية ... ، ولم يشأ الفيلسوف الآلوسي ترجمتها بنفسه إلى العربية لأسباب عدة، كما كان يصرح بها دومًا لي، منها خوفه أن يتهم بتهم شتى من السلطات الفكرية والدينية والسياسية في زمانه ... كتاب التطور والنسبية في الأخلاق... وقد نشره الفيلسوف الآلوسي وكان متردداً أن يصل إلى العراق خوفًا من أن يقع بأيدي الجهال فيتهم الآلوسي في عقيدته ودينه... أما المرجعيات التي استقى منها الآلوسي ملامح منهجه هذا وحدد منطقه وتطبيقاته على الفكر الفلسفي بعامة والإسلامي بخاصة، فهي مؤلفات في الفلسفة الماركسية من أمثال كيللي وكوفالزون في المادية التاريخية والمادية الديالكتيكية، وكورنفورث، العلم ضد المثالية، ويوفتشول، موجز تاريخ الفلسفة، وبيوري، حرية الفكر، وجون لويس، المدخل إلى

الفلسفة، وفرديريك انجلز، الاشتراكية الطوبوية والاشتراكية العلمية، وغيرها)

هذه السيرة وهذه المرجعيات التي استقى منها منهجه أكدت لي أنَّ الرجل ـ رحمه الله ـ أفرغ مايراه عن نفسه على أبي الطيب بسبب خيالات كانت تتراءى له وفهوم غير صحيحة ، فهو أولاً وأخيرًا يكتب عن سيرته ، هذا ما تيقنت منه ولهذا السبب وبما مرَّ من نقضٍ لآرائه تسقط جميع الأدران التي رمى بها الآلوسي أبا الطيب.

وهذه هي القصيدة التي أشرت إليه سابقًا بأني سأضعها كاملة:

١ ـ سلام على الدنيا وبغداد والدار سلام على الأحفاد والآل والجار

٢ ـ سلام على كلتا ابنتي وزوجتي ومن سوف بعدي يكتوون بناري

٣ ـ وما حالهم بعد ارتحالي عنهمو على مضض مني ودون خيار

٤ـ ولـو كنـت مختـارا بقلبـي وضعتهم	مـدى الـدهر أبغـي خيـرهم وأداري
٥ـ ولكـن جسـمي لـم يعـد مثـل أمسه	ونـبض فـؤادي فـاتر متـــــوار
٦ـ قسوت على نفسي لأسعد لحمتي	ويمضـي إلـى بـر الأمـان صـغاري
٧ــ ولـم ادخـر للعلـم وقتـا وهمــة	ويـــسرته للمستــضيء بنـــاري
٨ــ وخضـت بحـار الفكـر أغـرق تـارة	وأنجــو بنفســي تـــارة وأداري
٩ــ فيـا أسـفا أمضـي وأُنسـى وينتهـي	جميـــع الـذي أعليتـه لــــدثاري
١٠ـ سلام علـى تكريـت مهـد طفـولتي	وداري وعنــد النهــر يســكن داري
١١ـ سلام على الـديوان في العصـر هـي	بـــروَّاده مــــن زائـــر ومـــزار
١٢ـ ويتلـو علـيهم والـدي وشيــوخنا	مـن الآي أو مـن مسـلم وبخـار ي
١٣ـ سـلام علـى بغـداد عمـرا سـكنتها	فطبـت بهـا عيشـا وطـاب جـواري
١٤ـ يقولون عند الموت يصـدق ميـت	ومـن بـات يـورى لـيس قـط يـواري
١٥ــ ألا كـل مـا أدريـه دنيـا أعيشـها	ومــاذا وراء القبــر لســت بـــدار

١٦ـ وأخرى بها أدري اشتهاء دوامها	ولـو أنهـا مـن علـقم ومـرار

١٧ــ أرى هـذه الـدنيا علـى اللـؤم	وُطِّدتْ وكل مسار ينتهي بخسار

١٨ـ وتبدو لذي فكر سوي ومنطق	سفينا هوى في البحر دون قرار

١٩ــ ولكنـها كـل المـتاح وأننـا	أسـارى ومـاذا يرتجـى بإسـار

٢٠ــ ابنتيَّ إمَّا صرت في القبر ثاويا	فـلا تجزعـا أو تقنطـا وحـذار

٢١ـ دخرت بجهد ما قدرت ادخاره	ومـا أنـا بـالآتي المريـب بـدار

٢٢ــ فكونا معا إن المسالك وعرة	وقـد ربمـا تـسلمكما لعثـار

٢٣ـــوفي كـل عـام اذكـراني وطوِّفـا	بقبري مرارا واجلسا بجواري

٢٤ـ أعيدا شريط العمر بيني وبينكم	وثم أسهبا في ذكر حال صغاري

ونظرة نقدية خاطفة إلى هذه الأبيات تفيد إلى أنها من البيت الأول إلى البيت الرابع عشر تفيض شعرًا وجدانيا، فيه جمالٌ فني وعاطفةٌ صادقة، ثم ينفصم هذا الجمال من البيت الرابع عشر حتى البيت التاسع عشر ، فهذه ستةُ أبيات

فيه حيرة وشك وتبرُّم وسبٌ صريح للدنيا ، والنظرة الفنية لهذه الأبيات تفضي إلى أنها خلوٌ من جمال الشعر، وتحيلها نظمًا لتأملات عقلية منفصلةٍ عن حديث الوجدان وإيحاءاته ، فليس لها حظٌ من الشعر إلا أنها جاءت على بحر الطويل أحد بحور الخليل رحمه الله، وهذه الأبيات الستة ما هي ببعيدة من قول المعري رحمه الله:

غيرُ مجدٍ بملتي واعتقادي   نوحُ باكٍ ولا ترنم شادِ

وشبيهٌ صوت النعي إذا قيـ   ـس بصوت البشير في كلِّ نادِ

أَبَكَتْ تلكم الحمامة أم غنـ   ـت على فرع غصنها الميادِ

ثم تعود النبرة الوجدانية من البيت العشرين إلى آخر القصيدة.

وأخيرًا فقد جاء في مجلة" أوراق فلسفية " العدد التاسع يناير٢٠٠٤م ص ٤٥ ما يجلو الحقيقة ويظهر ما هو

عليه وفيه من شكٍ وقلق، إذ يقول عن نفسه:(بدأت حياتي الفلسفية ـ ولا أدري الأسباب ـ بشكوك عاصفة وتساؤلات حادة وأنا بعد على أعتاب الثانوية : التكوين الديني والتطلع الفلسفي، منه هنا ازدواجية وتصادم في شخص فتى يافع... والحصيلة في هذه المرحلة شعر كثير... وأيضًا عدة كتب مثل: لماذا أنا شاك ومازال مخطوطًا... ومن هذه الكتب : أضواء حول نبوة المتنبي وفلسفته، استخدمت فيه المنهج النفسي من عقدة" الكبرياء " عند المتنبي ، وأسقطت آرائي في الموت والحياة والوجود والمصير على المتنبي)

ثم قال في الصفحة نفسها عن مرحلةٍ من مراحل عمره: (٢ـ مرحلة اليقين المزعوم:ــ في مرحلةٍ لاحقة خُيَّل لي أنني وصلت إلى يقين مزعوم، لكن يقين سلبي ، أي ضد اليقين المعروف الموروث)

وحين قرأت قوله عن نفسه: [وأسقطت آرائي في

الموت والحياة والوجود والمصير على المتنبي] وقع لي ثَلَجُ الصدر بما ذهبت إليه قبل قراءة هذا النص ومعرفته حين قلت: (إنه يعاني من قلقٍ أسقط مؤداه على أبي الطيب)

وقوله : (ضد اليقين المعروف الموروث تصريح إلى أنه انتكس عن مورث الأسرة من اليقين الديني.

يضاف هنا ما مر سابقًا ما قاله عنه الناقد فاضل ثامر(...فهو ينحدر من عائلة دينية لكنه تمرد بسبب موجات الشك واليقين التي تعتليه، فانتقل الى الفكر الليبرالي وصار يحمل مفهوما عقلانيا وعلمانيا).

وكذلك ما جاء بقلم حسن مجيد العبيدي: ولم يشأ الفيلسوف الآلوسي ترجمتها ـ يعني كتبه ـ بنفسه إلى العربية لأسباب عدة، كما كان يصرح بها دومًا لي، منها خوفه أن يتهم بتهم شتى من السلطات الفكرية والدينية والسياسية في زمانه ... أما المرجعيات التي استقى منها

الآلوسي ملامح منهجه هذا وحدد منطقه وتطبيقاته على الفكر الفلسفي بعامة والإسلامي بخاصة، فهي مؤلفات في الفلسفة الماركسية من أمثال كيللي وكوفالزون في المادية التاريخية والمادية الديالكتيكية، وكورنفورث، العلم ضد المثالية، ويوفتشول، موجز تاريخ الفلسفة، وبيوري، حرية الفكر، وجون لويس، المدخل إلى الفلسفة، وفرديريك انجلز، الاشتراكية الطوبوية والاشتراكية العلمية، وغيرها).

فهذه المرجعيات هي التي أصابته بهذه اللوثة غفر الله له.

ولِبُعد ما جرى منه على أبي الطيب من شطحات، فقد يخطر على البال أنه قالها في سن الحداثة ومرحلة الشكوك قبل أن تنضج التجربة عنده ثم رجع عنها، لكنني وجدته في مجلة" أوراق فلسفية" يقول عن مؤلفاته: (ومن هذه الكتب : أضواء حول نبوة المتنبي وفلسفته، استخدمتُ فيه

المـنهج النفسـي مـن عقـدة" الكبريـاء " عنـد المتنبـي ، وأسقطت آرائي في الموت والحياة والوجود والمصير على المتنبـي) وهـذا العـدد مـن المجلـة صـادر٢٠٠٤م. أي أنَّ عمره قارب السبعين، فهو مولود ١٩٣٦م رحمه الله.

بلغت المراجع التي رجع إليها الألوسي اثنين وأربعين مرجعًا ، لـيس منهـا كتـاب" الفسـر" لا بـن جنـي في شـرح ديوان المتنبي فلـم يـذكره إلا خطفًـا ولـم يرجـع إليـه قصـدًا وذكر ما يؤيد مذهبه وتجاهل ما ينقضه، وليس منها كتاب" المتنبـي" لمحمـود شـاكر؛ والكتابـان عمـدة في مثـل بحثـه، وهما يمثلان في هذا الموضوع قول جهيزة التي قطعت قولَ كلِّ خطيب، ترك كتاب محمود شاكر مع أنه رجع إلـى طـه حسين وعبد الوهاب عزام وهما أخـذا مـن شـاكر واسـتفادا مـن نتـائج دراسـته! ولا تفسير لهـذا التجاهـل إلا لأنـه يـرى أنهما يفضيان إلى غير ما يشتهي رحمه الله وعفا عنه.

الفصل الخامس

جرد أدلة إبطال التنبؤ

وهي أدلةٌ مفرقةٌ في أعطاف الكتاب، وجمعها هنا جاء من قبيل التنظيم وضمِ الإلف إلى إلفه،وليسهل على القارئ النظر فيها مجتمعة.

وأول ما بدأت به/ ما ناقشته ريتا عوض في كتابها "الشعر والنبو" عن رواية أبي معاذ اللاذقي، إذا قالت عنها:

١ ــ يكتفي ابن العديم بالتعليق على هذه الحكاية الطويلة الغريبة بالقول: (قلت: والصدحة التي أشار إلى أنه تمنع المطر معروفةٌ إلى زماننا هذا، أخبرني غير واحد ممن أثق به من أهل اليمن أنهم يصرفون المطر عن الإبل والغنم وعن زرع عدُّوه وأنَّ رعاء الإبل والغنم ببلادهم يستعملون ذلك وهو نوع من السحر)إهـ

تعني بالحكاية الطويلة الغريبة ما نسب إلى أبي معاذ

اللاذقي من حكاية حول تنبؤ أبي الطيب، قلت: وهذا التعليق من ابن العديم ينطوي على عدم قبوله لمضمون هذه الحكاية، فهو يعلق على شأن الصدحة متجاهلاً تفصيلات الحكاية مبينًا أنَّ الأمر لا يبلغ حد الإعجاز الذي يشهد بنبوة فاعله.

٢ـ هذه الرواية ظاهرة التكلُّف واضحة الافتعال ، فابن العديم لا يذكر إن كانت النسخة التي وقعت إليه من شعر المتنبي نسخة لديوانه بأسره، أم أنها تقتصر على بعض قصائد وعلى الحكاية التي نسخها منه.

٣ـ لا يخبر أين وجدها.

٤ـ لم يحاول أن يتقصَّى هوية كاتبها بأن يسأل عنه مثلا صاحبه جامع الكتب الواسع الاطلاع ياقوت الرومي الحموي.

٥ـ لا نجد لهذه الحكاية ذكرًا فيما وصلنا من شروح ديوان المتنبي قبل الشرح المنسوب لأبي البقاء العُكْبَري[٥٣٨ـ ٦١٦هـ

قلت: وهذا أقوى المطاعن في إسقاطها، وأنها موضوعة بعد وفاة أبي الطيب بزمن طويل، فما بين ولادة أبي البقاء ووفاة أبي الطيب ما يقرب من مئتي سنة، فأين هذه الحكاية خلال هاتين المئتين؟!

٦ــ لا يحدد المتنبي في مقدمة قصيدته من هومعاذ الذي يخاطبه، خلافًا لقصائده الأخرى جميعًا التي انتقاها وأثبتها في ديوانه.) وهذا أيضًا دليل فيه من القوة ما يرفع اللائمة على من أنكرها، فمادام هذه نهج صاحب الشأن في شعره، فلِمَ أغفل ذكر اللاذقي؟!

٧ـ (في إحدى نسخ الفسر لابن جني تعريف معاذ هذا بـ " الصيداوي " نسبةً إلى مدينة صيداء، ويُرجح أن تكون تلك النسبة إضافةً من ناسخ متأخر في الزمن) لأنها لو كانت موجودة في الفسر لتناولها مترجمو أبي الطيب الذين جاؤا بين ابن جني وبين العُكْبَري.

فدلالة الترجيح أنّ هذه الحكاية لم تُذكر قبل العُكْبَري ، وهو متأخر كثيرًا عن زمن ابن جني.

٨ـ هذه الرواية التي كانت رائجة على ما يبدو في الفترة التي وُضع فيها الشرح المسمى التبيان ثم تلك التي كتب فيه ابن العديم بغية الطلب.

٩ـ أنَّ الأبيات : " أي محل أرتقي " هي من شعر الصبا الباكر بالكوفة، وليست من شعر المتنبي الشامي، كما ظن كاتب الحكاية) إهـ

أي أنَّ الحكاية المزعومة وقعت باللاذقية والأبيات قالها أبو الطيب في صباه قبل ذهابه إلى الكوفة، ولا يستقيم أن يكون تمثل بها لأنَّ الرأي متجهٌ إلى أنَّ الحكاية موضوعة.

١٠ـ تدل هذه الحكاية على ما كان يروج في الشام لقرون بعد موت أبي الطيب المتنبي من حكايات حول نبوته.

١١ـ ارتباط هذا الشاعر بالنبوة فتح الشهية على اختلاق الأخبار والحكايات التي تكشف انبهار الناس بظاهرة هذا الشاعر النبي ـ المتنبي.

١٢ـ ويبدوأنَّ الأصفهاني كان مدركًا أنه تعسَّف وتفلسف وبالغ في تأويل ما اقتطفه من شعر المتنبي بما لا تحتمله الأبيات التي انتقاها واستلها من سياقها، وكان ذلك

بقصد التقرب من بهاء الدولة ، ابن عضد الدولة البويهي ، وإرضائه ،وهو يعلم أنَّ البويهيين لم يزُلْ حقدهم على المتنبي حتى بعد موته.

١٣ـ نجد أن الأصفهاني يضع قبل كل تأويل لبيت يستنتج منه ما افتُرِض أنه معتقد المتنبي ، يضع كلمة : [قالوا] زاعمًا أنه ينقل ما قاله آخرون لا يحدد من هم .

١٤ـ إما أنَّ الأصفهاني ادعى في كتاب الواضح ، أنه هو صاحب الاستدلال على معتقد المتنبي من تلك الأبيات ، أو أنه في كتابه[أخبار أبي الطيب] تنصل من نسبتها إلى نفسه لقناعته بأنه تعسف في تأويلها.

١٥ـ المرجح أنه هومن وضعها إذ لم تصلنا في أيِّ من المصادر الأخرى التي تناول أصحابُها معتقد المتنبي.

ثانيًا

مع كتاب[أمثال المتنبي وحياته بين الأمل والألم] لأحمد سعيد البغدادي رحمه الله.

١ـ بحثت عن هذا الحادث الخطير والانقلاب الذي حدث سنة ٣٢٠هـ في مدن الشام وارتداد أهلها عن الإسلام ومبايعتها لأبي الطيب فما عثرت عليه.

٢ـ مما يدعو إلى الريبة في هذه الرواية أنَّ الخطيب والبديعي كلاهما يقول عن روايته إنه لم يبق في حفظه من قرآن المتنبي إلا الجملة التي أولها: [والنجم السيار] فكأنَّ مخترع هذه الرواية وضعها بهذا الشكل ليجعل لها قيمة عند السماع فنقلاها على علتها ونسبها كل منهما إلى روايته.

٢ـ البديعي أباح لنفسه أن يتوسع إلى أبعد حد بلا

حجةٍ ولا تبصر.

٣ــ زعمـوا أنَّ بنـي كلـب حـاربوا لؤلـؤاً مـع المتنبـي والحقيقة أنَّ بني كلب كانوا يكرهون المتنبي ويسيئون إليـه ولـم ينصروه في شيء بل أساؤا جواره.

٤ـ أنَّ أبا الطيب لقب بـالمتنبي ولـم يكـن ادعـى النبـوة ،وحـبس لاتهامـه بالقيـام علـى الدولـة ولـم يحـبس لادعـاء النبوة والله أعلم.

ثالثا

في بحـثٍ بعنـوان:" نظـرة إجماليـة في حيـاة المتنبـي" لمعروف الرصـافي قدمـه وحققـه إبـراهيم العَلـوي رحمهمـا الله.

١ـ أكثر الذين كتبوا عن المتنبـي قـالوا قـولاً مبهمًـا إنـه ادعى النبوة في بادية السماوة وهـي أرض حيـال الكوفـة ممـا

يلي الشام. فإن صح الخبر، كان ذلك سبب تلقيبه بالمتنبي، لكنه غير صحيح عندي، لأن مترجمي المتنبي اتفقوا كلهم على أنه ولد في الكوفة، ونشأ في الشام، وبها تأدب ونبغ في الأدب، كما ذكرناه فيما سبق. فمن المستحيل عادةً إذن أن يدعي النبوة قبل ذهابه إلى الشام، لأنه إذ ذاك صبي صغير.

٢ــ إن قيل ادعاها بعد ذهابه إلى الشام ونبوغه في الأدب، قلنا إنَّ ذلك باطل أيضًا لأنَّ السماوة من بلاد العراق، والمتنبي لم يقدم العراق في أوائل نشأته إلا مرة واحدة.

٣ـ ومما يدل على كذب هذا الخبر قولهم إنه لما فشا أمره، خرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الإخشيد فاعتقله زمنًا، ثم استتابه ، وأطلقه. قالوا هذا والسماوة ليست من أعمال الشام، بل هي من أعمال العراق، فكيف يخرج إليه

والي حمص ويعتقله؟

٤ـ هذا الخبر، أعني خبر ادعاء المتنبي النبوة مختلق، وأنَّ الذين اختلقوه أرادوا أن يؤيدوه، بما وقع من اعتقال المتنبي وسجنه، فأبطلوه!! لأن سبب الا عتقال والسجن معلوم كما تقدم.

٥ـ ومما يؤكد كذب هذا الخبر، أنه لم يرد في شعر المتنبي ما يدل عليه لا صراحة، ولا تعريضًا .

٦ـ وأغرب من ذلك أنَّ بعضهم ادعى أنَّ للمتنبي قرآنا أيضا!! ولا ريب في أنه من الموضوعات بعد المتني)إهـ

ومن أدلة وضع هذا القرآن بعد المتنبي أنَّ من تحدثوا عن سيرته مشافهة لم يذكروا هذا حتى خصومه.

رابعًا

ومن كتاب " المتنبي والقرامطة

١ـ أبو الطيب قد ركب أمرًا عظيمًا بمخاصمة جماعة سرية خطيرة، وكان لا بد من إسقاطه في أعين الناس لكي يَصمُّوا آذانهم عن سماعه.

خامسًا:

١ــ من تعليق المحقق على كتاب" الواضح في مشكلات المتنبي" المتنبي لم يدعِ ذلك صريحًا ولكنه يؤخذ من تبجُحه بنفسه.

سادسًا:

١ـ تلك الرشفات أحلى في فمي من كلمة التوحيد، وهي" لا إله إلا الله" وهذا إفراطٌ وتجاوز للحد) قلت مع ما للواحدي من علوٍ وقدم صدق في علوم الشريعة، إلا أنه

لم يذهب مذهب المتهِم لأبي الطيب في دينه.

وأخيرًا أرى أنَّ القارئ لو جمع في آنٍ وحد بين قراءة هذه الأدلة التي جرَّدتُها وبين الأصل الموجود في هذا الكتاب لكان أقوى في إثبات الحجة. فقد يجد دليلاً لم أذكره هنا وهومثبتٌ هناك، وقد يستنبط من السياقات ما لم يخطر على بالي.

الفصل السادس

دلائل الخبيئة

والخبيئة فعيلة بمعنى مفعول والمقصود بها عملٌ صالح خالصٌ لله يجعله المسلم بينه وبين ربه، فلا يطلع عليه سوى الله سبحانه، وهذه الدلائل مبثوثة في هذا البحث فأحببت جمعَها هنا ليكون البيانُ أوضح ومدارستها للقارئ أنجح.

١ـ قال عنه ابن جني في الفسر: (وهل هذه الفصاحة والطلاقة إلا نورٌ من عند الله عزَّ وجل استودعه قلبه)

٢ـ ومن مقدمة الفسر :(ولقد كان من الجد فيما يعانيه ولزوم طريق أهل العلم فيما يقوله ويحكيه على أسدِّ وتيرة وأحسن سيرة)

٣ـ ومن مقدمة الفسر أيضاً: (وحقًّا أقول: لقد شاهدته على خُلُقٍ قلَّما تكامل إلا لعالم موفق).

٤ـ وقال عنه في كتابه الخصائص :(وحدثني المتنبي شاعرنا ـ وما عرفته إلا صادقًا)

٥ـ يترشفن من فمي رَشَفَاتٍ هن فيه أحلى من التوحيدِ

وقول أبي الفتح: [ويُروى أنه أنشده : حلاوة التوحيد] أذهبُ به دليلاً من أدلة الخبيئة؛ لأنَّ للتوحيد حلاوةً في وجدانه.

٦ـ :(قال علي بن عيسى النحوي ٣٢٨ـ ٤٢٠هـ رحمه الله : قال لي أبوالطيب أحمد بن الحسين بن الحسن : كان يثقل علي أن أدعى المتنبي دهرًا إلى أن أنست به، وقبَّح الله أهل الكوفة يضيقون في الأسماء على أنفسهم فلا يفرقون بين بعضهم وبعض إلا بالألقاب)

٧ـ وفي كتاب الواضح في مشكلات شعر المتنبي (...

وانتظر المهلبي إنشاده فلم يفعل، وإنما صده ما سمعه من تماديه في السخف واستهتاره بالهزل واستيلاء أهل الخلاعة والسخافة عليه، وكان المتنبي مُرَّ النفس صعب الشكيمة حادًا مجدًا فخرج.

٨ـ و مما ورد في كتاب" المثال والتحول: (ومن حساد أبي مُحسَّد ومبغضيه أبوالفضل بن العميد ... فكيف السبيل إلى إخماد ذكره ـ يعني أبا الطيب ـ فقلت:القدر لا يُغالب ،والرجل ذوحظٍ من إشاعة الذكر واشتهار الاسم، فالأولى أن لا تشغل فكرك بهذا الأمر)

٩ـ ذكر شفيق جبري عند حديثه عنه: (ومن المحقق أنَّ أبا الطيب كان صادقًا عفيف المذهب ... ولكنَّ مذهبه في اللذات العفة التامة ... فالطعن على أهل العبقرية يذهب

جفاءً وتمكث عبقريتهم في الأرض)

١٠ـ من دلائل الخبيئة أن دفع الله عنه شيوع مثل هذا الفحش في التهم، فلم تكتب لها السيرورة وبقيت حبيسة قائلها ، ولم تتجاوز ـ على أبعد حال ـ الجيل الذي عاشه الكاتب وعِلْمَ من بحث في سيرته.

١١ـ كان المتنبي مبغضًا للخمر أشد البغض ممتنعًا عنها أشد الامتناع،يرى أنَّ الإقبال عليها فضلاً عن معاقرتها لا يلائم ما يملأ نفسه من الجد.

١٢ـ من أدلِّ الدلائل على مكامن هذه الخبيئة نفوره من القرامطة كما نفهم من تحقيق الدكتور محمد محمد حسين.

١٣ـ لا يخفى أنَّ للكوفة ثقلاً دينيًا مهمًا منذ تمصيرها

... يضاف إلى ذلك كثرة المساجد وحلقات الدرس وتأثير بعض الطبقات الدينية، وما كان يدرس من علوم الدين ذلك كله كان المتنبي ملازمًا له وعلى احتكاك به فتأثر به وتسرب ذلك التأثر إلى شعره بطبيعة الحال ، وتجلى بمظاهر ومضامين إسلامية كثيرة منها الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والدراية ببعض ما يتصل بالفقه والتصوف)

١٤ـ إن أبا الطيب لم يرد في شعره ما يدلُّ على ادعاء النبوة لا صراحة، ولا تعريضًا .

١٥ـ قال ابن القطَّاع ٥١٥هـ: ذهب كثيرٌ من الناس إلى أنَّ لفظة أفضل توجب تفضيل الأول على الثاني في جميع المواضع، وذلك غلط، والصحيح أنَّ أفعل يجيء في كلام

العرب على خمسة أوجه ... والثاني : أن يكون الأول من جنس الثاني ، ومحتملا للحاق به، وقد سبق الثاني حكم أوجب له الزيادة بالدليل الواضح فهذا يكون على المقاربة في التشبيه لا التفضيل، نحو قولك :الأمير أكرم من حاتم، وأشجع من عمرو. وبيت المتنبي من هذا القبيل، أي يترشفن من فمي رشفات هن قريبٌ من التوحيد.

١٦ــ ليس هو المحسودَ الوحيد من ذوي الجاه والمنزلة، ودواوين التاريخ والأدب حفظت كثيرًا من هذا الحسد وأفاضت في ذكر المكائد فمات الجميع ومات الذكر بموتهم إلا ذكر أبي الطيب مع ما واجهه من الحسد.

١٧ـ ومن شيمه التي تنطق بها سيرته و نلتمسها التماسًا من شعره أنَّه ليس صاحب وشاية ولا دسائس، مع ما لقيه

من الوشاة وما اختلقه له أهل الدس والوقيعة، فلم نسمع أنه حاول سرًا أن يوحشَ الولاة أو غيرهم على أحد.

وتزكيات أبي الفتح هي أكثر شيءٍ إبانة عما ذهبتُ إليه ، ولووقفت عندها لكفت ؛ فهي صادرةٌ عن عالم ثبت يعرف أبا الطيب وصحِبه وخالطه وعرف دُخلته وقرأ عليه ديوانه، وقال عنه أبو الطيب : هو أعلم بشعري مني، كما عرف مماحكة حاسديه خاصة ما دارمنها في مجالس سيف الدولة الذي كان ابن جني ممن يحضرها.

كذلك لو وقفنا عند قول الأصفهاني في وصف أبي الطيب: (... مُرَّ النفس صعب الشكيمة حادًا مجدًا) فهي صفات كمال لم يوصف بها إلا لأمر استقر في الذهن.

وختمًا فإني لا أرى مندوحةً عن القول بالخبيئة سواءً

استطعت أن أَأْتيَ بما يقنع به القارئ أم حُبس عني هذا، فأمر بقاء ذكر أبي الطيب رحمه الله ذكرًا تتعاقب عليه الأجيال لا يُعزى إلا لها، وهو عجيبةٌ من عجائب الزمان لستُ أعني عجيبةَ شعره وإنما عجيبة ذكره الذي لا يخلو جيلٌ من الناس إلا وُجِد منهم من بذل من قته وعلمه وماله لهذا الرجل، وليس هذ الأحدٍ قبله ولم ينله أحدٌ بعده من الشعراء.

والله ولي الأمر وعليه قصد السبيل.

الفصل السابع

هوامش

وهذا فصلٌ أحببتُ أن أجمعَ فيه ما نبت من أفنانٍ على ساق البحث وليست من صميمه، إلا أنها من رحمه، وهذا دأبٌ جريتُ عليه وأخذت به في مؤلفاتي، فأضم إلى الكتاب ما يتولد من البحث.

هامش ـ ١/ فمن هذا ما ورد على ذهني من سؤالٍ يقول :لماذا أقذع وأفحش أبو الطيب في هجاء ضبة وابن كَيَغْلَغ والقاضي الذهبي ووردان بن ربيعة؟، ولم يفعل مثل هذا في هجاء كافور أو هجاء أبي الفرج السامري؟!، مع أنه هجا كافرًا في أكثر من قصيدة.

السامري: نبطيٌ من كتاب سيف الدولة، وهو مستحقٌ للهجاء لأنه استأذن سيف الدولة بقتل المتنبي حين سمع إدلاله على سيف الدولة في ميميته:

واحر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم

وأعنـي بالإفحـاش والإقـذاع الولـوغَ في الأعـراض واللجوء إلى اللفظ السوقي الهابط، وهذا مع ضبة أفحشُ وأكثرُ سوقية ، ومن الجائز أن نقول عن السوقي في هجاء ضبة إنه يناسب ضعةَ إنسانٍ سليط كره الناس وحقد عليهم وعاش معتادًا على الغدر لا يحفظ ذمة ، فجازاه بما هو أهله وبحروف يفهمها، وأمَّا ابن كَيَغْلَغ فإنه وإن هبط معناه وأسفَّ ولم يبلغ دركة ضبة، ومع أنه مرميٌّ بالجهل و كان على طرابلس حين نزلها أبو الطيب.

وهجاء كافور مُلىءَ بالازدراء والسخرية والتندر والتذكير بالأصل، ولم يتعرض لعرضه ولا لعرض حرمه .

ومن هجاء ابن كَيَغْلَغ ما جاء بميميةٍ عدد أبياتها ستةٌ وثلاثون بيتًا ومطلعها:

لهـوى النفـوس سـريرةٌ لا تعلـمُ عَرَضًـا نظـرتُ وخِلـتُ أني أسـلمُ

وجاءت بعد رَوِيةٍ وأناة ، لذلك تضمنت القصيدة أمثالا سائرة من مثل قوله :

لا يسلمُ الشريفُ الرفيع من الأذى حتى يراقَ على جواب الدم

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذاعفةٍ فلعلةٍ لا يظلم

وهجاه أيضًا بقطعتين أُخريين الأولى جاءت بأحد عشر بيتًا،والأخرى بخمسة أبيات، وقامت المقطوعتان على عمود الهجاء المعروف من سبٍ للخَلق والهيئة وطعنٍ في الشجاعة ونفيٍ للصدق،وخالط الثانيةَ بيتٌ واحد فيه تعرضٌ للعِرض وهو قوله:

وَلَيسَ جَميلا عِرضُهُ فَيَصونَهُ وَلَيسَ جَميلا أَن يَكونَ جَميلا

وهيَّجه على أبي الطيب ثلاثة نفرٍ من جلسائه.

أمَّا هجاء ضبة فهو مرتجل قاله وهو على فرسه، وهو ردٌ على رجل كان يُسمعهم فاحش القول من داخل حصنٍ

تحصَّن به، وخلت مما يصلح مثلاً أو حكمة، فهو أقذعَ مع ضبة لأنه سمع منه فاحشَ القول، وأقذع مع ابن كَيَغْلَغ لأنه كان جاهلاً ليس أهلا لما هو فيه من الولاية'.

أَتاني كَلامُ الجاهِلِ اِبنِ كَيَغلَغٍ يَجوبُ حُزوناً بَينَنا وَسُهولا

طرفٌ من مثير هجاء كافور يلتقي مع مثير هجاء ابن كَيَغْلَغ ذلك أنَّ كلاً منهما عاقَ أبا الطيب عن التحوِّل من المكان فهيجه ما فعلاه .

في هجائه لضبة هجم على الشعر هجومًا مما يدل على أنّه هجاءٌ لم تلده رويةٌ ولا أناة ولا تخيُّرٌ للألفاظ، وفي هجائه لابن كَيَغْلَغ افتتح القصيدة الأولى بما يوحي بالغزل، وكذلك فعل في هجاء كافور في قصيدته : (ألا كل ماشية الخيزلى...) وفي هذه القصيدة يعود بنا أبوالطيب إلى مطالع ومفتتحات الشعر الجاهلي، فقد مضى شطرها

الأول" ثمانية عشر بيتًا "وصفًا للرحلة قبل الدخول إلى موضوع القصيدة، بل أُخُصُّ معلقة لبيد رضي الله عنه فهي مشبهةٌ لرحلته، فكأنَّ طرف القصيدة هذا يشير إلى الحالة الشعورية لأبي الطيب وهو أنه كان في وجل حتى إذا استقر به المكان وأمن أفضى إلى ما يريد، لذلك نجد أنه يُفَدِّي الخيلَ بالنساء

أَلا كُلُّ ماشِيَةِ الخَيزَلى فِدا كُلُّ ماشِيَةِ الهَيذَبى

فالخيزلى مِشْيةٌ من مشيات النساء فيها تكسُّرٌ واسترخاء، والهيذبى ضربٌ من مشي الخيل فيه نشاط وإسراع، فلا وقت للغزل وذكر النساء بل هن في حالتي تلك أفدي بهن الخيل التي هي سبيل نجاتي، فالخيل أولى من الرتعة والدعة و الخلود إلى الحديث عن النساء وهو في هذه الحال من الخوف، ومجموع أبياتها ستةٌ وثلاثون بيتًا،

ولم تخلُ من أبيات جرت مجرى المثل كقوله:

وما كلُّ من قال قولاً وفى ولا كلُّ من سِيمَ خسفًا أبى

ومن جهلت نفسُه قدرَه رأى غيره منه ما لا يرى

ولم يدخل على الهجاء إلا في البيت الخامس والعشرين:

ونام الخويدم عن ليلنا وقد نام قبلُ عمىً وكرى

الخويدم : كافور.

فأبيات الهجاء أحد عشر بيتًا، ومعظمُ القصيدةِ تصويرٌ لمالقي في طريقه، والرأي يتجه إلى أنها لم تكن في مبدأها هجاء، لما أجده من انقطاع النَفَس بين وصف الرحلة وبين الدخول على الهجاء ،فكأنه حين أنهى القول فيما أراد من باعث القصيدة وهو وصف الرحلة استرخى ثم انبعث خاطره إلى كافور فاهتاج لِمَا ذكر من أمره فدخل على

الهجاء، حين أحسَّ أنَّ جعبته الوجدانية فيها ما فيها وأنَّ ما سبق من شعر لم يشفِ نفسه، فالحال الأولى الباعثة على قول القصيدة ليست حال دعة واسترخاء وإنما:

ضربتُ بها التيهَ ضرب القما ر إمَّا لهذا وإمَّا لذا

فأنا أسلك التيه الذي تاه به بنو إسرائيل مع ما فيه من المهلكة والمخاطرة ،وأضربه ضرب صاحب القمار، إمَّا أن أفوز أو.... .

وقال الواحدي ـــ رحمه الله ــ عن قصيدة ضبة : (...وصرح بشتمه في هذه القصيدة لأنه لم يكن له فهمٌ يعرف به التعريض ، وكان المتنبي إذا قُرئت عليه هذه القصيدة ينكر إنشاده وأنا أيضاـ الواحدي ـ واللهِ أكره كتابتها وتفسيرها ولست أرويها، وإنما أحكيها على ما هي عليه ، واستغفر الله تعالى من خط ما لا يُزْلفُ لديه ... وكان

من قصة ضبة أنَّ قومًا من أهل العراق قتلوا أباه يزيد ونكحوا امرأته أمَّ ضبة ، وكان ضبة غدرًا بكل أحد نزل به . واجتاز به أبو الطيب ، فامتنع منه بحصنٍ له، وأقبل يجاهرهم شتمه وشتم من معه وأرادوا أن يجيبوه بمثل ألفاظه القبيحة وسألو ذلك أبا الطيب فتكلَّفه لهم على كراهة)

الولوغ في الأعراض جرى عند المتنبي على أكثر من مهجو، فهذا ما جرى على ابن كَيَغْلَغ وعلى ضبة، وفي شعره ما جرى على غيرهما، فقد قال في هجاء القاضي الذهبي:

لما نُسِبتَ فكنت ابنًا لغير أبٍ ثم امتُحِنت فلم ترجع إلى أدب

قال ابن جني : (أي لم يُعرَف أبوك ،جعله لغيرِ رِشْدة)

وقال يهجو وردان بن ربيعة من طيء:

لحا الله وردانًا وأُمًا أتت به له كسبُ خنزيرٍ وخرطومُ ثعلبِ

فـما كـان فيـه الـغـدر إلا دلالـةً　　　عـلى أنَّـه فيـه مـن الأم والأبِ

إذا كسب الإنسان من هَـنِ عرسه　　　فيـا لـؤم إنسـانٍ ويـا لـؤم مكسـبِ

قال ابن جني: (أي غدره بي دلالةٌ على أنَّ أمه غدرت فيه بأبيه فجاءت به لغير رشدة) إهـ

ومعنى البيت الثالث أنَّ كسبك من فرج امرأتك، فقد رماه بالدياثة.

قلت: الهَنُ :الفرج فهي تأخذ كسبها من تأجير فرجها، وزوجها يتجاهل فعلها إقرارًا لها.

ها مش ٢ـ

أنـام مـلء جفـوني عـن شـواردها ويســهر الخلـق جرَّاهـا ويختصـمُ

مـن ثمـار هـذا البحـث التـي جـاءت بغيـر تطلُّـب ولا احتساب، أني عرفت أنَّ كلُّ جادةٍ بحثٍ تسلُكها بشأن أبـي الطيب تفضي بك إلى جوادَّ جديدة ، وهذا التوالـد بـالجواد بشبه ما يحدث من دوائرَ تولَّدت من حجرٍ أُلقى في بركة فتتابع الدوائر حتى تصطدم في حافة البركة، ولكنَّ جوادَّ أبي الطيب تتفتق مما يزيد على ألف سنة ولم تزل.

كنت أسلَّي نفسي بهـذه الكلمـة ولكنـي حـين أوغلـت بكتابة هـذه الحـروف فإذاتوالـد الجـواد شـاخصٌ شـخوصَ الحقيقـة واقـفٌ علـى سـاقين، وكلمـا مسَّـني الضـجر وأنـا أكتب هـذه الحـروف وأخـذني الإعيـاء، حفـزني أبـو الطيـب رحمه الله وكأنه يحدثني:

لولا المشقةُ سادس الناس كلهم الجـــود يفقـــرُ والإقـــدام قتَّـــالُ

فيتجـدد نشـاطي ويتبـدد خمـولي فغفـر الله لـك يـا محبوب، فلم يسلم محبُّك من كَلَلِ الأعقاب في تتبع هذه الجوادِّ، بل حتى في نومي لم أسلم ، فكم تمثَّلتْ لي فقرات من هذا البحث في نومي .

لمَّا ظهر لي هذا تبينتُ معنى قول أبي الطيب: ويسهر الخلق... فقد تعبتُ كثيرًا في تتبع الأقوال والمصادر في هذا البحث ، وشقَّ علي كثيرًا البحث عن بعض مظانها والوصول إليها، وأرى أنَّ الباحث في شأن أبي الطيب لا يمكن أن يحيط بكلِّ ما كُتب عنه أو بكلِّ ما قيل فيه . فهو يكتب والمطابع تلفظ، ويكفي هذا شاهدًا أن نقف عند ما أحصاه مخائيل وكوركيس عواد فقد أحصيا سنة ١٩٧٩م/ ألفي مصدر كلها تحدثت عن أبي الطيب ، فما

ظنك بما كتب بعدهما وما ظنك بما لم يستطيعا الوصول إليه؟ من هنا أقول على الباحث أن يقطع الرجاء بالإحاطة بكلِّ ما كتب عنه، وُينهي بحثه بنية عزمٍ على طبعة ثانية ، وأن يوطِّن نفسه ويحصنها من مسِّ ندمٍ سيصيبها بعد إبراز بحثه.

وهنا أشير إلى آخر ما قعت عليه بهذا الشأن، وذلك ما صدر من مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية الطبعة الأولى ١٤٤٦هـ ٢٠٢٤م بعنوان:" شرح ديوان المتنبي للإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني المتوفى٤٧١هـ" دراسة وتحقيق عبد الرحمن بن دخيل ربه المطرفي، وقع لي هذا الشرح وأنا أوشك أن أطوي صفحات هذا البحث.

ومن عجيب أمره أنَّ ديوانه صار ليلى المحققين في

الشأن الأدبي فكلٌّ يغني على أنه أحرز الأصول وأتى بما لم يبلغه الأول ولا يناله الآخِر، وأول نَفَسٍ رأيته في هذا ما قاله أبو الحسن الواحدي ٤١٦هـ رحمه الله في مقدمة شرحه للديوان فإنه وازن موازنةً خفيفة بين ما اطَّلع عليه من شروحٍ للديوان ثم أبان السبب في إصدار شرحه وأفصح عن منهجه:(على أنه ــ يعني المتنبي ــ كان صاحب معان مخترعة بديعة ، لطائف أبكارٍ منها لم يُسبق إليها دقيقة... ولهذا خفيت معانيه على أكثر من روى شعره من أكابر الفضلاء والأئمة العلماء ، حتى الفحول منهم والنجباء :كالقاضي أبي الحسن على بن عبد العزيز الجرجاني ٢٩٠ـ ٣٦٦هـ صاحب كتاب" الوساطة " وأبي الفتح عثمان بن جني النحوي ، وأبي العلاء المعري، وأبي علي بن فوَّرجة البَروجَرْدي رحمهم الله تعالى .وهؤلاء كانوا من فحول

العلمـاء وتكلَّمـوا في معـاني شـعره ممـا اخترعـه وانفـرد بالإغراب فيه وأبدعه ، وأصابوا في كثير من ذلك وخفي عليهم بعضه فلم يّبِنْ لهم غرضه المقصود ،لبعد مرماه وامتداد مداه. أما القاضي أبو الحسن فإنه ادَّعى التوسط بين صاغية المتنبي ومحبيه وبين المنا صبين له ممن يعاديه، فذكر أنَّ قومًا ما لوا إليه حتى فضَّلوه في الشعر على جميع أهل زمانه، وقضوا له بالتبريز على أقرانه، وقومًا لم يعُدوه من الشعراء وأزروا بشعره غاية الإزراء ، حتى قالوا إنه لا ينطق إلا بالهُراء ولا يتكلم إلا بالكلمة العوراء. ومعانيه كلها مسروقة أوعور، وألفاظه ظلمات وديجور ،فتوسط بين الخصمين ، وذكر الحق بين القولين. أمَّا ابن جني فإنه من الكبار في صنعة الإعراب والتصريف والمحسنين في كل باب منها بالتصنيف؛ غير أنه إذا تكلم في المعاني تبلَّد حماره

ولجَّ به عشاره، ولقد اُستُهدف في كتاب " الفسر" غرضًا للطاعن ،ونُهزةً للغامز والطاعن، إذ حشاه بالشواهد الكثيرة التي لا حاجة إليها في ذلك الكتاب، والمسائل الدقيقة المستغنى عنها في صنعة الإعراب، ومن حق المصنف أن يكون كلامه مقصورا على المقصود بكتابه، وما يتعلق به من أسبابه، غير عادلٍ إلى مالا يحتاج إليه، ولا يعرِّج عليه ، ثم إذا انتهى به الكلام إلى بيان المعاني ، فعاد طويل كلامه قصيرا، وأتى بالمحال هُراءً وتقصيرا. وأمَّا ابن فورَّجة فإنه كتب مجلدين لطيفين على شرح معاني هذا الديوان سمَّى أحدهما" التجني على ابن جني" والآخر" الفتح على أبي الفتح" أفاد بالكثير منهما ، غائصًا على الدرر وفائزا بالغرر ؛ ثم لم يخلُ من ضعف البنية البشرية والسهو الذي قل ما يخلو عنه أحد من البرية. ولقد تصفحت كتابيه وأعلمتُ

على مواطن الزلل، ومع شغف الناس وإجماع أكثر أهل البلدان على تعلُّم هذا الديوان، لم يقع له شرح شاف يفتح الغَلَق ويُسيغ الشرق، ولا بيانٌ عن معانيه كاشفُ الأستار حتى يوضحها للأسماع والأبصار. فتصديتُ بما رزقني الله تعالى من العلم ويسَّره لي من الفهم لإفادة من قصد تعلُّم الديوان، وأراد الوقوف على مودعه من المعاني ، بتصنيف كتاب يسلم من التطويل، وذكر ما يستغنى عنه من الكثير بالقليل ، ومشتملٍ على البيان والإيضاح مبتسمٍ عن الغرر والأوضاح، يخرج من تأمله عن ظُلَم التخمين إلى نور اليقين ويقفُ به على المغزى المقصود والمرمى المطلوب، حتى يغنَيه عن هَوْسات المؤدبين ووساوس المبطلين ،وانتحال المتشبعين وكذب المدعين، الذين تفضحهم شواهد الاختبار عند التحقيق والاعتبار . وقدمًا

سـعيتُ في علـم هـذا الشـعر سـعي المجـد سـالكًا للتجدُد،وسبقت فيه غيري سبق الجواد إذا استولى على الأمد ،حتى سهُلتْ لي حزونه، وسمحت فنونه ،وذلت لي أبكاره وعونه، وزال العمى فانهتك لي غطاء حقائقه وانشرح ما استبهم على غيري من دقائقه، فنطقتُ فيه مبينا عن إصابة، ولم أُجمجم القول موريًا في إرابة . والله تعالى المسؤول حسن التوفيق في إتمامه وإسباغ ما بدأنا به من فضله وإنعامه.

ثم جاء أبو البقاء العُكْبَري رحمه الله ٥٣٨ـ ٦١٦هـ في مقدمة شرحه للديوان : (ورأيت الناس قد أكثروا من شرح الديوان واهتموا بمعانيه فأعربوا فيه بكل فن وأغربوا... وما فيهم من أتى فيه بشيءٍ شاف ولا بعوَضٍ هو للطالب كاف) قف عن قوله: [قد أكثروا] .

ثم يأتي بعد أبي البقاء تلميذه أبو العباس أحمد بن علي بن مَعْقِل الأزدي المهلبي٥٦٧ـ ٦٤٤ رحمه الله فيقول في كتابه " كتاب المآخذ على شُرَّاح ديوان أبي الطيب المتنبي" تحقيق الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع في ص٩٥ط٢ :(فإني لما رأيت ما حظي به أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي من اعتناء الناس بشعره، العالم منهم والجاهل ولهجهم بذكر، النبيه والخامل، والتقييد لأوابد أمثاله السيارة، والتنقيب عن غوامض معانيه الحسنة المختارة ، والتمثيل بأبياته الشوارد، والترتيل لآياتها في المشاهد، والتضمين لها في صدور الكتب والرسائل، والتزيين بها في قلوب المجالس والمحافل ، وكثرة الشارحين لها من الفضلاء والحانين عليها من الأدباء، حتى لقد كادت تنسيهم أشعار الأوائل وتلهيهم عن تلك

الفضائل، فتهدم منها ذلك المنار وتطفئ ... إلا أنهم قصروا في بعض المعاني فهدموا بها تلك المباني، وأشكل عليهم بعض الأبيات ،فخفيت عنهم تلك الآيات. فرأيت أن أضع كتابًا مختصرًا ينبه على ما غفلوه، ويهدي إلى ما أضلوه ويُبيِّنُ ما جهلوه ، من غير أن أكون زاريًا عليهم أو مهدي اللوم إليهم ، وكيف وقد سهَّلتْ أقدامهم من وعره وبينتْ أفهامهم من سره فأصابوا الجم الغفير وأخطؤا النزر اليسير) والشروح التي تتبعها المهلبي خمسة: شرح ابن جني، وشرح أبي العلاء، و شرح الواحدي ،وشرح التبريزي، وشرح الكندي)

وهذا إبراهيم اليازجي ١٢٦٣هـ ـ ١٣٢٤هـ يقدم لشرح والده ناصيف اليازجي ١٢١٤هـ ١٢٨٧هـ لديوان أبي الطيب" العرف الطيب في شرح ديوان المتنبي " فيقول

: (ومع قلة مافي أيدي الناس من شروحه على كثرتها وعزة الظفر بالمحكم منها، في هذا العصر إلى شرح يُعتمد عليه في استخراج مكنونه والكشف عن غامضه... وقد تتبعت الغريب في الأبيات كلها من غير استثناء ... واستقصيت في الإعراب بحيث لم أدع مشكلاً يتوقف عنده البصير إلا تلقيته ببيانه... وذكر ت معنى كل بيت على عقب الفراغ من مفرداته) إهـ

ثم يأتي عبد الرحمن البر قوقي ١٢٩٣هـ ـ ١٣٦٣هـ رحمه الله في شرحه للديوان فيقول: (... بيد أنَّ المتداول من شروحه إنما هو العُكْبَري والواحدي واليازجي ... ثم هو ـ الواحدي ـ ومثله العُكْبَري كلاهما موضوعٌ ذلك الوضع الخَلِق البالي العقيم ... هذا إلى التحريف الكثير الذي ألمَّ بالواحدي والعُكْبَري معًا ... ويزيد الواحدي على

العُكْبَـري أنـه لا يحفـل بتفسـير المفـردات ولا بـالإعراب ، وبأنــه لا يفســر كثيــرًا مــن الأبيــات ، فكأنــه موضــوع للمنتهين... أما اليازجي أواليازجيان ـ الشيخ ناصيف وابنه الشيخ إبرا هيم ـ فهما على فضلهما الـذي لا ينكـر ، وعلـى ما طنطن به الثاني في ذيل الشرح مما قـد يخـرج منه القـارئ وهو مفعـمٌ يقينًـا بـأنَّ هـذا الشـرح هـو سـيد الشـروح ، وهـو وحـده الشـرح الـذي طبَّـق المفصـل وأصـاب مقطـع الحـق وأوفى على الغاية ، أقول: إنهما على الرغم من ذلك يصـدق عليهما قول الواحدي في ابن جني : أمـا ابـن جنـي فإنـه مـن الكبـار في صـنعة الإعـراب والتصـريف ، والمحسـن في كـل واحد منهما بالتصنيف ، غيـر أنـه إذا تكلـم في المعـاني تبلَّـد حماره ولجَّ عثاره)

انتهـى مـا تيسـر نقلـه عـن شـروح الأسـلاف للـديوان،

ونتجاوز الحديث عما كتبوه عليهم رحمة الله ورضوانه إلى من يعاصرنا ويعيش معنا فهذا، محمد صالح فرحات يقدم ديوان المتنبي، بتحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام رحمه الله، فيقول في المقدمة: (... وخرجت دراسات عدة هيجت الحديث عن الشاعر العظيم سيرته وأسرار براعته على نحو خطير... فقد عاد الدكتور/ عبد الوهاب عزام مرة أخرى إلى المتنبي فأخرج ديوانه١٩٤٤م عن مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة بصورة علمية مميزة وعلى وجود الديوان مطبوعًا ومشروحًا مرارًا بالفعل بين يدي الناس، فإن هذه الطبعة المعتمدة على أصول عالية متمتعة بزيادات شتى في الشعر ومقدمات القصائد ، بل في تعليقات قيمة تعود للشاعر نفسه ، كما تصرح المخطوطة البغدادية التي اطلع عليها الدكتور عزام في العراق ... ثم

كان الدكتور عبد الوهاب حصيًفا حين ضم تلك الزيادات إلى نشرته من ديوان المتنبي لتكون أو عبَ إخراجةٍ لشعره) هذه المقدمة قال فرحات إنه كتبها في الليلة الأخيرة من شهر الله المحرم لسنة ١٤٤٢هـ= ١٨/ من سبتمبر سنة ٢٠٢٠م بداره بفولنجيل المنصورة ـ مصر.

ثم يأتي الدكتور حمد بن محمد البطشان فيقول في صفحة العنوان عن تحقيقه للديوان الصادر عن مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية عن هذه الطبعة: (عن أصحِّ النسخ والزيادات وأقدمها وأوفاها عن نسخٍ مقابلةٍ مقروءة على أبي الطيب وابن جني وعليها تعليقاتهما بخطيهما)

ثم يقول في مقدمة التحقيق: (فهذا ديوانُ شاعرِ العربيةِ، مالئ الدُّنيا وشاغلُ الناسِ ، أقدمه منتقى من أقدم النسخ

كتابةً ، وأوضحها روايةً وأتمها وأوفاها بشعره، وبزيادات شعره، انتُسِخت وقوبلت وروجعت على نسخةٍ المتنبي التي كتبها لنفسه وعلى نُسخٍ الأعلام من رواة شعره... وبعد ما اطمأنَّت نفسي إلى أنَّ ما بين يديَّ أصحُّ روايةٍ لشعر أبي الطيب وأتمُّها= أردت أن أجمع توطئةً قبل الديوان ؛ تجعله قائمًا بنفسه، غير محتاجٍ إلى تأويلات المفسرين والمحلِّلين والنقاد، فجمَّعت فيها كلَّ ما ثبت عندي من أقوال الأوائل في أخبار المتنبي وسيرته وشعره، ثم أثبت أقوال المحبين والخصوم، وتركتُ الساحة رحبةً لمن يريد قراءة المتنبي تارةً أخرى) هذه الطبعة صدرت ١٤٤٣هـ

وهذا الكلام وهذه النقولات لا أقولها تثريبًا على أحدٍ قال بهذا وإنما هو إبانةٌ لبعض ما كتب لهذا الرجل من البقاء والرفعة ،وقال أحمد سعيد البغدادي في كتابه " أمثال

المتنبي بين الألم والأمل " ص ٤) فإنَّ ديوان المتنبي كمثل الوجود : كلما تناولته ببحث جديد وافاك بعلمٍ مفيد"

ورحم الله الجميع ،وما أخذه لاحقٌ على سابق لا يسلَّم له بكل عيبٍ أو مأخذ، وإنما هي فهومٌ تمليها العقول، ولا يمنع انَّ مع كلِّ شارحٍ قسطًا من الحقيقة التي لا يغني عنه شرح غيره.

وأختم هذا الهامش بهذه الكلمة: ومما جرى به تباين الرأي في شعره وأنه بحق شاغل الناس ما دار حو ل قوله:

وأبهر آياتِ التِّهامي أنه أبو كم وإحدى ما لكم من مناقب

إذ قال ابن جني: (وقد أكثر الناس القول في هذا البيت ، وهو في الجملة شنيعُ الظاهر، وقد كان يتعسَّف في الاحتجاج لهُ والاعتذار منه بما لست أراه مُقنعًا)

ونقل الواحدي عن العروضي:(قال أبو الفضل العروضي فيما أملاه علي: هذا بيت حسن المعنى مستقيم

اللفظ حتى لو قلتُ إنه أمدحُ بيت في شعره لم أبعد عن الصواب ولا ذنب له إذا جهل الناس غرضه واشتبه عليهم.

ومن هذا ما جرى من تباين حول قوله:

تمتع من سُهادٍ أورقادٍ ولا تأمل كرى تحت الرجامِ

فإنَّ لثالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنامِ

بالرجوع إلى الفسر فالبيت الأول قال عنه ابن جني: (أرجوأن لا يكون أراد بذلك أنَّ نومة القبر لا انتباه بعدها)

أبو العلاء في اللامع العزيزي: الرجام : جمع رَجَم و هو القبر، يقول لنفسه وأميره: تمتع من سهادك أومن رقادك فإنهما زائلان، ثم ذكر ثالثًا فقال:

فإنَّ لثالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام

يعني الموت، ولولم يقل أبو الطيب غيرَ هذه القصيدة لكان من أشعر الناس)

ها مش ٣

ورد في كتاب " المتنبي " لمحمود شاكر رحمهما الله ص٦٠٩ فقرة ٨ من ترجمة ابن العديم ٥٨٨هـ ـ ٦٦٠هـ رحمه الله: (أخبرنا صديقنا أبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومي مولى الحموي البغدادي قال : رأيت ديوان أبي الطيب المتنبي بخط أبي الحسن علي بن عيسى الرَّبَعي ، قال في أوله: " الذي أعرفه من نسب أبي الطيب أنه : أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجُعفي ، وكان يكتم نسبه ، وسألت عن سبب طيِّه ذلك فقال : إني أنزل دائمًا بعشائر وقبائل من العرب ، ولا أحب أن يعرفوني ، خيفة أن يكون لهم في قومي تِرَة. وهذا الذي صحَّ عندي من نسبه)

قلت: وهذا إن صح فما أراه من أبي الطيب الارتباكًا في الرد، و هو ردٌ يرد مثله على كثيرٍ من الناس إذا كُوشِفُوا

فجأةً بأمرٍ من خاصة أمورهم كانوا يتسترون عليه ولا يرغبون الحديث عنه، وطُلب منهم بيانه، ودليلي على هذا أنه يعلم أنَّ قومه ليسوا بذوي حروب توجب لهم تراتٍ مع القبائل وليسوا من الشرف بذاك أليس هو القائل:

لا بقومي شرفت شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجدودي

والقائل:

ولستُ بقانعٍ من كلِّ فضلٍ بأن أُعزى إلى جدٍ همامِ

وليس من الجاري في العرف أن المرأ يُخفي نسبه حياته مخافة أن يؤخذ إلا أن يتحقق من حالة خاصة عابرة ثم يمسك عن هذا الإخفاء فإذا أمن أشاع وأذاع، ولم يجرِ هذا الإخفاء مع من هم من ذوي القبائل صاحبة الحروب والترات، بل إنهم يجدون في أنفسهم شيئًا من الأمن حين يفصحون عن انتمائهم القبلي.

هامش ٤

من ثمرات هذا البحث أني رأيت تزكية الجانب الديني عند أبي الطيب بدأت عودتها تلوح ولو على وميضًا، فبعد أن قال ابن جني ٣٢٢ـ ٣٩٢هـ تزكيات دينه انقطع هذا، حتى رأيته يومض عند محمد محمد حسين ١٩١٢مـ١٩٨٢م رحمه الله في كتابه" المتنبي والقرامطة" الصادر ١٤٠٣هـ وذلك حين قال عن أبي الطيب: (عرف خطر القرامطة وخطر هذه الأنجاس الدخيلة على الأمة وعلى الدين... فليس بمستبعدٍ أن يستقر في نفسه شعور بأنَّ التنبيه إلى خطر هذه الفرقة واجب عليه أن يحمله...ومثل هذا الإحساس شيءٌ مألوف في حياة كثير من المصلحين)ص ٥٩ـ ٦٠. وهنا لفتة توجب الحال الإشارة إليها، ذلك أنَّ محمد حسين سلك أبا الطيب في سلك

المصلحين، وهذه قد تكون غايةً غير معلنة وقصر أمره على التبرم والشكاية من الزمان وأهله، فهو كشف الداء لكنه لـم يذكر من الدواء إلا الإصلاح بالقوة.

ليت الغمامَ الـذي عنـدي صـواعقُه يـــزيلهن إلـــى مـــن عنـــده الـــدِّيَمُ

وقوله:

سَـــأَطلُبُ حَقّـــي بِالقَنـــا وَمَشـــايِخٍ كَـــأَنَّهُمُ مِـــن طـــولِ مـــا اِلتَثَمـــوا مُـــردُ

وَطَعنٍ كَـأَنَّ الطَعـنَ لا طَعـنَ عِنـدَهُ وَضَــربٍ كَــأَنَّ النــارَ مِــن حَــرِّهِ بَــردُ

أَذُمُّ إِلـــى هَـــذا الزَمـــانِ أُهَيلَـــهُ فَـــأَعلَمُهُم فَـــدمٌ وَأَحـــزَمُهُم وَغـــدُ

ثـم رأيـت كتابًـا بعنـوان[الشخصـية الإسـلامية في شـعر المتنبي] للدكتور فتحي أسعد إسماعيل نعجة ، وهومنشورٌ عـام ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م ،ثـم وقعـت علـى بحـثٍ منشـورٍ في مجلة اللغة العربية وآدابها جامعة الكوفة منشورًا في مجلد ١ عـدد ٢٨ تشـرين الأول ٢٠١٨ .أعـده أ.م.د.سـتار عبـد الله

جاسم بعنوان[أثر النشأة الكوفية في شعر أبي الطيب المتنبي] دارحديث الباحث فيه على ستة محاور سادسها الأثر الديني، ذكر فيه ما رآه من مظاهر صبغت الجانب الديني عند أبي الطيب، وعسى أن يكون بحثي هذا داخلاً في هذا المضمار.

هامش ٥

ومما أحببتُ قصه عليك من أفنانٍ نبتت على ساق الكتاب أني كنت أخاتل دليلاً في مسألةٍ علمية عن خبيئة المتنبي مخاتلةَ طائر حذر، فأفتل خيطًا وينتقض آخر، فلما ضنِيت النفس من تلك المخاتلة وصلِيتْ وصوَّبتُ قلمي نحو الغاية بدقة تؤكد الاصطياد، إذا بداخلٍ علي يدخل فجأةً في خلوتي تلك، ففر الدليل ونفر ، فرارَ طائرٍ من قفص ونِفارَ جملٍ شرود، فكلَّفني استرداد هذا الدليل بكورةً كاملة بقيت فيها ثلاث ساعات لم أبرح مجلسي فلم أقدر على اللملمة إلا بعد لأيٍ لاء، فقلت : ما أعزَّ وآنفَ الخواطر العلمية، ففي هذه السهولة فرَّت وبهذه المشقة قرَّت.

هامش٦

وعن العيوب التي قيلت في شعره أقول: وأمّا المساوئ التي جمعها الصاحب ابن عباد٣٢٦ـ ٣٨٥هـ على شعر المتنبي إن سلَّمنا بصوابها، فإنَّ هذه المساوئ مع خمولها وتقاصر صيتها فلا تنهض دليلاً على ما ذهب إليه فقد انحصرت الأبيات التي عابها بتسعةٍ وستين بيتًا وهذا عددٌ من الضيم اتخاذه دليلا على ما أراد إذا قيس بسعة الديوان وعيونه؛ فتبقى دليلا على أثر الحظ النفسي عند الناقد ولا تتجاوز هذا، وجاء في كشف الظنون أيضًا، أنَّ الواحدي رتّب ديوانه بنفسه وقد بلغ عدد القوافي " الأبيات " خمسة آلاف وأربعمائة وأربعًا وتسعين قافية) من مقدمة شرح الواحدي لديوان المتنبي.

وعندي أنَّ هذه المساوئ تسقط أمام قصيدةٍ واحدة

وهي ميميته التي مطلعها:

واحــر قلبــاه ممــن قبلــه شــبمُ ومـن بجسـمي وحـالي عنـده سـقم

وعدد أبياتِها سبعةٌ وثلاثون بيتًا حسب رواية أبي الفتح في " الفسر" وكيف لو وازنا هذه المساوئ بسيفياته أو كافورياته؟! رحم الله الجميع.

ومع هذا فإنَّ الصاحب لم يجد غنيةً من الاستفادة من شعر أبي الطيب،فهذ أبو منصور الثعالبي ٣٥٠هـ - ٤٢٩هـ رحمه الله يعقد مبحثًا في يتيمته بعنوان: " قطعة من حل الصاحب وغيره نظم المتنبي واستعانتهم بألفاظه ومعانيه في الترسل" فينتصف فيها لأبي الطيب ويبين المعاني التي أخذها الصاحب من أبيات المتنبي ونثر معانيَها في ترسُّله.

ولكنَّ هذا لا يعني سلامة شعره من الساقط والمعيب، وإن أردتَ بيان هذا فعليك - أيضًا- بما ذكره الثعالبي رحمه

في ص١٨١ ج١ من اليتيمة، فقد عقد مبحثًا عنوانه:" والآن حين أذكر ما ينعى على أبي الطيب من معائب شعره ومقابحه فمنها قبح المطالع ومنها إتباع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء ومنها استكراه وتعقيد المعنى... "أهـ

قلت : ومن أبرد شعره وأقلِّه ماءً قوله:

أنا ابن من بعضه يفوق أبا الـ ـباحث والنجل بعضُ مَنْ نَجَلَه

وإنما يذكر الجدودَ لهم من نفروه وأنفذوا حيله

وهذا شعرٌ ساقط ولا ماء فيه، وفيه التواء واحتباس للمعنى الذي أراد الشاعر أن يُحدِّثَ عنه لكنه حُبس في ذهنه و تأبَّى عليه أن يذلَّ به لسانه، أقول هذا وإن جاهد وجالد محمود شاكر ــ رحمه الله ــ في إيضاح المراد بعبارةٍ هي الأخرى قليلةُ الماء ظاهرةُ التكلُّف، قال في ص٤٠٩ من كتابه" المتنبي "حين أنكر على طه حسين تفسير هذه

الأبيات : (... وأنا أتولى تفهيم الدكتور معنى هذا الشعر... ولكن المتنبي أراد أن يقولَ للسائل : إنَّ الحقيقة المقررة هي أنَّ الولد بعض الوالد [أي جزء منه] فإذا كان الولد [وهو جزء] يفوق أباك [وهو كُل] فما ظنك [بالكل] الذي يكون [جزؤه]خيرًا من [كلِّ أبيك] ولذك قال المتنبي : [بعضه] ولم يقل: [نجله]

قلت : وهذا كأنه تحليل مسألةٍ فيزيائية وهذا الشعر من حيث اللفظ سوقي خِلوٌ من الجمال ولا إطراب فيه لقارئٍ ولا سامع.

ومن هذا قوله:

ولو لم تَكُوني بِنْتَ أكرمِ والدٍ لكانَ أَباكِ الضَّخمَ كَونُكِ لي أُمَّا

مع أنَّ القصيدة فيها جمال في كثيرٍ من أبياتها؛ فألفاظ البيت خاصةَ الشطر الثاني لم تؤدِ المعنى المراد جميلا، وفي

قراءته صعود وهبوط وانحباس نفس.

ومن هذا قوله من قصيدةٍ يمدحُ فيها علي بن أحمد الخرساني:

فتًى ألفُ جزءٍ رأيُهُ في زمانِهِ أقل جُزيْءٍ بعضه الرأيُ أجمعُ

قال الواحدي في شرحه : (ترتيب الكلام فتى رأيه في زمانه ألف جزءٍ أقل جُزيء من هذه الأجزاءِ الألف بعضه أي بعض أقل جُزيء من رأيه الرأيُ الذي في أيدي الناس كله فألف جزء مرفوعٌ لأنه خبر مبتداءِ قُدِّم عليه وهو قوله رأيه وأقل مرفوعٌ بالابتداء وبعضه مبتدأٌ ثانٍ وهو مضاف إلى ضمير المبتدأ الأول والرأي خبرٌ عن المبتدأ الثاني وأجمع توكيدٌ للرأي) إهـ قلت: فأي ماءٍ في هذا البيت؟ ويجري عليه ما جرى على البيت الذي تولى شرحه محمود شاكر.

وحين ذكر اليازجي مبحثًا بعنوان: " أمثلةً على مستغلق شعره واختلاف مذاهب التأويل فيه أورد جملةً من الأبيات، ثم قال: في ص ٧١: (واكتفي من هذا الضرب بهذا القدر ، وهو ليس في شعره من الشيء النادر بل لا تكاد تتصفح قصيدةً إلا ترى فيها مثل ذلك مما يقف عند الفهم ويستوقف لذة النفس بما مضى من حسناته ويكدر عليها مشربها من حلاوة ألفاظه ومعانيه. وعندي أنَّ ما كان كذلك حتى يُحتاج في استخراج معناه إلى استنباط القريحة وقدح زند الخاطر وحتى يكون المعنى من عند الشارح لا من عند الشاعر لا يستحق أن يسمى شعرا ، وما أُرى ابن خلدون ومن على رأيه نفي الشاعرية عن المتنبي إلا لهذه الأبيات وأمثالها)

ومما جاء في مقدمة ابن خلدون في الفصل الخامس

والخمسين ص٥٧٢ تحقيق درويش الجويدي:

(وقولنا الجاري على الأساليب المخصوصة به فصل له عما لم يجر منه على أساليب العرب المعروفة فإنه حينئذ لا يكون شعرا إنما هو كلام منظوم لأن الشعر له أساليب تخصه لا تكون للمنثور وكذا أساليب المنثور لا تكون للشعر فما كان من الكلام منظوما وليس على تلك الأساليب فلا يكون شعرا وبهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الأدبية يرون أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء لأنهما لم يجريا على أساليب العرب فيه)

هامش ٧

وحين عاتب أبو فراس ابن عمه سيف الدولة قائلاً له: (إنَّك لتعطي هذا المتشدق ثلاثة آلاف دينار في السنة على ثلاث قصائد، ولو فرَّقتَ مئتي دينار على عشرين شاعرًا لأتوك بما هو خيرٌ من شعره) والمقصود بالمتشدق أبو الطيب، وأرى أنَّ هذه المعاتبة ليس وراءها إلا الغيرةُ والحسد، وإلا فإنَّ أبا فراس شاعر ويعرف الشعر الذي يستحق هذه الهبات وأكثر، ويعلم في قرارة نفسه أنه شعرٌ لا يأتي بمثله عشرون ولا أكثر من الشعراء، وبالعودة إلى ما دار بين أبي الطيب وأبي فراس في مجلس سيف الدولة عندما أنشد أبو الطيب ميميته:

واحرقلباه ممن قلبه شبمُ ومن بجسمي وحالي عنده سقمُ

بالعودة إليها تظهر مكامن الحسد بين فارسي الشعر.

هامش ٨

من القواعد المثمرة في النقد الشعري أن تعرف أنَّ موقع البيت جاء مقصودًا في ذهن الشاعر، وأنَّ البيت العاشر مثلاً لِم لَمْ يكن هو البيت الخامس؟، ذاك لأنَّ البيت الرابع هو الذي أوحى بمعنا البيت الخامس ، فالشاعر ينطق عن معانٍ متوهجة في خاطره ووجدانه، وهذه المعاني قد تخفى على بعضنا ولعل القراءة بأناة تدنينا من معرفة الرابط بين الأبيات، كما أنَّ معرفة مناسبة القصيدة مما يعين على التعرف على الرابط بين أجزائها، و تلمُّس الوحدة الموضوعية، وهومن قواعد تتبعها، فمن الزلات النقدية أن نقول إن البيت العاشر لا علاقة له بالثاني وأن البيت العشرين لا علاقة له بالعاشر وهكذا.

لكنَّ المعنى الذي يربط بين أ بيات القصيدة لم يفصح

عنه الشاعر وعوَّل على فهم السامع، ومن البعيد أن نقول بانفصام المعاني إلا أن يكون الشاعر قد قال القصيدة بأزمنةٍ متباعدة ، وبمناسبات متباينة، فهنا قد تتباين الحالة الشعورية التي تولِّد المعنى فلا يلتقي معنى القول الأول بمعنى القول الثاني، ثم تزداد الشقة كلما تباعد أو تعدد زمن القول فتصبح أبيات القصيدة أبناءَ علاَّت أو أخياف.

هامش ٩

من خلال مدارستي لما دار بين شاكر والأفغاني ــ رحمهما الله ــ عن مسألة نبوة المتنبي تبين لي أنَّ شاكرًا يعتريه التواءٌ يُثقلُ عليه الإبانة عن حجته، وليس هذا في جميل العبارة أو فصاحتها أوامتلائها أوضعف دليلها، وإنما هو التواء من نوعٍ خاص فقد أُتي من حيث انتشار الفكرة في ذهنه وتشعب المسالك ومن ثم في مخاتلة الدليل،فلا يكاد يدلي بحجته ويقذف رأيه إلا بعد كدٍ في الذهن ومدٍ في الكلام ومشقة على القارئ فهو يستطرد ويطيل الاستطراد لأدنى ملابسة، حتى تجد أنه في بعض استطراداته ينسيك أصلَ ما يتحدث، وقد لمست هذه المشقة حين كنت أريد معرفة مراده بمنهج التذوق الذ ي تبناه في دراساته، وهذا ورد في كتاب" جمهرة مقالات محمود شاكر" اعتنى بها

الـدكتور عـادل سـليمان جمـال. فقـرأت مـن ص١١٢٨ فسرت في تشعبات وتفريعات أتعبتني حتى وصلت إلى ص ١١٨٣ ؛ فإذا الأمرُ يتبين طرفٌ مـن معالمـه بأقـلَّ مـن نصـف صفحة، فويـلٌ لمتبـرمٍ يلـتمس دلـيلاً عنـد ه ، وبالجملـة هـو أقوى دليلاً من الأفغاني وأكثر إثراءً للقارئ .

ويعلو تحقيقه للأخبار حين يتجه قلمه إلى نقد المتون، ويبدو أنه أقدر ُعلى فحـص المـتن مـن فحـص السـند، وإن شئت فارجع إلى نقضه خبر التنوخي عن نسب المتنبي ص ١٤٦ . من كتابه " المتنبي " .

هامش ١٠

شفيق جبري ١٣١٥هـ ـ ١٤٠٠هـ ومحمود شاكر ١٣٢٧هـ ـ ١٤١٨هـ رحمهما الله كتبا عن نسب المتنبي واختلفا في الأصل الذي يرجع إليه، ولكنْ فرقٌ فارق بين قلميهما، فجبري يكتب وكأن معه خيوطًا ينسج منها قطعة قماش فيضع بهدوء كلَّ خيطٍ بمكانه ولا يُحتاج بعد هذا إلى إعادة النظر، فإذا بالقطعة قد استوت على ساقٍ نَضِرة، وشاكر يفرض فرضيات، وتحسُّ أنَّ قلمه يرتجف وأنَّ نَفَسه يعلو فهو يلتفت يمنًا ويسارا ومن الخلف فكأنما هو يخشى أن يُدرك أويعاب، وكلاهما كتب في مقتبل عمره فجبري كان عمره٣٢ ، وشاكر٢٧، ولا غنية عن كتابه " المتنبي " لمن أراد أن يعرف كثيرًا عن أبي الطيِّب رحمه الله.

هامش ١١

عاش أبوالطيب في عصر الدولة العباسية ،وحسب تقسيم عصورها فقد عاش بين العصر الثاني ٢٣٢هـ ــ ٣٣٤هـ والعصر الثالث ٣٣٤هـ ــ ٤٤٧هـ ،ومن المثير أني لم أجد أنه وفد أو استمنح أيًا من الخلفاء العباسيين ،وقصر وفاداتِه على سلاطين الأطراف يأمل منهم ما يأمل من ولايةٍ وعطاء .

فهل ياترى زارهم أم استنكف لما يرى ويسمع من ضعفهم وتسلُّط الحاشية عليهم وعلى تدبير شؤونهم؟ ولِما يرى أيضًا من اضطراب أمر الخليفة وسرعة خلعه بل وقتله، أو أنَّه علم أنَّ وصوله بغيته من حظوةٍ عند الخلفاء لا يتحقق إلا بدسيسةٍ أو مكيدة تأباها أخلاقه فأنف منها، أوأنَّ أمراء الأطراف أقربُ إلى تحقيق بغيته؟ .

ومن شيمه التي تنطق بها سيرته و نلتمسها التماسًا من شعره أنَّه ليس صاحب وشاية ولا دسائس، مع ما لقيه من الوشاة وما اختلقه له أهل الدس والوقيعة، فلم نسمع أنه حاول سرًا أن يوحشَ الولاة على أحد فكان إذا أراد أن يفضيَ عما في نفسه عن أحدٍ من الحاشية فإنَّ هذا يقع منه مجاهرة، كما قال في ميميته حين عرَّض بأحد الحضور قائلاً:

أعيذها نظراتٍ منك صادقةً ... أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره ... إذا استوت عنده الأنوار والظلم

أقول لمَّا رأيت تجافيه عن بلاطات خلفاء بني العباس أحببت أن أتتبع الأمر فبدأت أقرأ في كتاب" البداية والنهاية" لأبي الفداء الحافظ ابن كثير رحمه الله ٧٧٤هـ دقق أصوله وحققه/ الدكتور أحمد أبو ملحم، الدكتور

علي نجيب عطوي، الأستاذ فؤاد السيد، الأستاذ مهدي ناصر الدين الأستاذ علي عبد الساتر، ط١ فبدأتُ من أحداث سنة عشرين وثلاثمائة، واخترت البدأ من هذه السنة لما جاء في ص٦٠٠ من ترجمة الرَّبَعي بكتاب "المتنبي" لمحمود شاكر: (... وأنه خرج من الكوفة إلى بغداد سنة عشرين وثلاثمائة ثم دخل بغداد) كما أنها هي السنة التي أرى أنَّ أبا الطيب قد يفد إلى الخلفاء، وهي وإن كانت سنه فيها مبكرة " سبع عشرة سنة" إلا أنَّ الإجماع على وصفة بالنباهة والنبوغ يؤهلانه إلى الوصول إلى بلاط الخلفاء.

ثم دخل بغداد، وله دخلةٌ ثانية كانت بعد هروبه من مصر، قال عبد الوهاب عزام رحمه الله في كتابه ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام ص١٩٣ وما بعدها: (ذهب أبو الطيب

إلى بغداد بعدرجوعه من مصر إلى الكوفة، ولا ندري متى ذهب إليها، ولكنا نعلم أنه خرج منها في شعبان سنة اثنتين وخمسين.

ومما جا عند الحافظ بن كثير: في سنة ٣٢٠هـ قتل المقتدر بالله، وكان قد تولى وعمره ثلاث عشرة سنة، فخلعه الجند وولوا أخاه محمد القادر ولم يبقَ في الخلافة سوى يومين، وأُعيد المقتدر، حتى كان هلاكه على يد غلمان مؤنس الخادم، ثم تولى المعتضد، واستدعى أم المقتدر وهي مريضةٌ بالاستسقاء فأمر بضربها وعُلقت برجليها ومسَّها بعذاب شديد، وتمكن الوزير علي بن مقلة فعزل وولَّى وأخذ وأعطى.فهل حال الخلافة هذه وحال الخليفة يغريان بوفوده؟!

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين، ثم إنَّ الوزير ومؤنسًا

الخادم وعلي بن بليق وجماعةً من الأمراء اشتورا فيما بينهم على خلع القاهر، ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة، فخُلع القاهر خلعه الجند وسُمِلتْ عيناه وعُذِّب، فلما خلعوه بايعوا محمد بن المقتدر ولقبوه بالراضي، وجاؤا بالقاهر وهو أعمى قد سملت عيناه فأوقف بين يديه فسلم عليه بالخلافة وسلمها له، فهل حال الخلافة هذه وحال الخليفة يغريان بوفوده؟!

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ولم يورد فيها ابن كثير شيئًا مما نحن بصدده، ثم دخلت سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، فيها جاءت الجند فأحدقوا بدار الخلافة وقالوا: ليخرج إلينا الراضي ، وأحرقت دار ابن مقلة، وهذا من تخبيط الأتراك والغلمان ، ووهى أمر الخلافة جدًا، كانوا لا يرفعون رأسًا بالخليفة، فهل حال

الخلافة هذه وحال الخليفة يغريان بوفوده؟!

ثم دخلت سنة خمسٍ وعشرين وثلاثمائة وليس فيها شيءٌ يذكر. ثم دخلت سنة ستٍ وعشرين وثلاثمائة، قلت : وقراءتها تدلُّ على أنَّ الدائرة فيها كانت على الوزراء فيما بينهم الذين لا شك هو عمود الحاشية، ثم دخلت سنة سبعٍ وعشرين وثلاثمائة وفيها أنَّ محمد بن رائق اغتنم غيبة الخليفة واستجاش بألفٍ من القرامطة وجاء بهم فدخل بغداد فأكثر فيها الفساد ، ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ولم يرد فيها شيءٌ مما نحن بصدده، ثم دخلت سنة تسعٍ وعشرين وثلاثمائة، وفيها إنَّ البَريدي ـ وهو أحد العمَّال ـ حدثته نفسه ببغداد" أي سولت له نفسه الاستيلاء عليها ، فأنفق المتقي أموالاً في الجند ليمنعوه من ذلك ، فركب بنفسه فخالفه البَريدي ودخل بغداد، فأرسل يطلب

من المتقي خمسمائة ألف دينار فامتنع الخليفة، ثم كان آخر ذلك أن بعث الخليفة إليه بذلك قهرًا، فهل حال الخلافة هذه وحال الخليفة يغريان بوفوده؟!

ثم دخلت سنة ثلاثين وفيها ذكر ابن الأثير في (الكامل): أن محمد بن رائق وقع بينه وبين البَريدي وحشة، لأجل أن البَريدي منع خراج واسط، فركب إليه ابن رائق ليتسلم ما عنده من المال، فوقعت مصالحة ورجع ابن رائق إلى بغداد، فطالبه الجند بأرزاقهم وضاق عليه حاله وتحيز جماعة من الأتراك عنه إلى البَريدي، فضعف جانب ابن رائق وكاتب البَريدي بالوزارة ببغداد، ثم قطع اسم الوزارة عنه، فاشتد حنق البَريدي عليه، وعزم على أخذ بغداد، فبعث أخاه أبا الحسين في جيش إلى بغداد، فتحصن ابن رائق مع الخليفة بدار الخلافة ونصبت فيها المجانيق

والعرادات، ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ولم أجد فيها مما نحن بصدده ،ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وثلاثمائة، وفيها تحالف تورون بن بويه مع أبي عبد الله البَريدي على المتقي أمير المؤمنين، ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وفيها خُلع المتقي من الخلافة وسُملت عيناه، فهل حال الخلافة هذه وحال الخليفة يغريان بوفوده؟!

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ولم يرد فيها مما نحن فيه، دخلت سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ولم يرد فيها مما نحن فيه، ثم دخلت سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وليس فيها أحداث مما نحن فيه.

بعد هذه السنة ٣٣٦هـ أتوقف لأنَّ أبا الطيب التحق بسيف الدولة سنة ٣٣٧هـ ولا يخفى بعد هذا عُلو شأنه .

هذا نقلٌ باختصارٍ شديد وتصرف في طرفٍ من حال

الخلفاء وحاشيتهم وجندهم ، مع ما في كثيرٍ من الناس من الدين والعلم، ولكنَّ الإشارة مقصورةٌ على حال البلاط ما يُرى بعضه سببًا في استنكاف رجلٍ بمنزلة أبي الطيب وتركِ الوفادةِ على الخلفاء، ومن عظائم ألطاف الله أن حفِظ أمر دينه ونأى بخيرةٍ من العلماء عن أوحال هذه الفتن وبقي منار العلم مرفوعا، وفائدةٌ عامة هنا وهي أنَّ الناس علماءهم وعامتهم من الخير لهم ألا يدخلوا في السياسة وأن يدعوا الأمر للخائضين، ففي هذا خيرٌ وصلاح وحقنٌ للدماء وإبقاءٌ للعلم وأهله.

وهذه أحداث لم نشهدها وفي التسليم بكامل صحتها نظر، وإلى الله المصير وعنده تجتمع الخصوم، وهي كافيةٌ لأن ينأى أبو الطيب وينأى كلُّ عاقل عن قصور الخلفاء، مع أنَّ هذه الفتن قد تكون مما فتح شهيته للولاية والسلطة، وقد يكون ترك الوِفادة دليل على الخبيئة.

هامش١٢

ثم تأتي الدكتورة ريتا عوض في كتابها" الشعر والنبوة أبو الطيب المتنبئ "فتزيد الصورة جلاءً ، فيتيقن الباحث أنَّ صارف أبي الطيب يأسه من رواج الشعر في بلاطٍ يخرج من فتنة إلى فتنة ،فتقول في ص ٣٧٣ـ ٣٧٤: (... كما رأى المتنبي بوادر أفول تلك الدولة في تراجع السلطة السياسية المركزية للخلافة ببغداد... في إقصاء جانب كبير من مواطنيها العرب عن السلطة وتسلُّط الموالي وقادة الجيش الأتراك والديلم والفرس على مقاليد الحكم في الدولة ، وانصراف الخلفاء ووزرائهم إلى اللهو و الشراب والغناء فلم تعد مجالسهم كما كانت في عهود الخلفاء السابقين، ملتقى الشعراء والأدباء والفلاسفة والحكماء حين كانوا يغدقون عليهم الأموال والهبات... فهو حين قرر أن يتخذ الشعر سبيلاً إلى تحقيق أحلامه ووسيلةً لاكتساب رزقه...

لكن مسعاه خاب لقدصُدتْ الأبواب في وجه الشعراء، ولـم يعد بلاط الخليفة ببغداد في القرن الرابع ذلـك الـبلاط الـذي احتفـى بكبـار شـعراء القـرن الماضـي واحتضـنهم وأعلـى شـأنهم. لقـد ابتعـد خلفـاء عصـره كـلَّ البعـد عـن النـاس، وغدت تعزلهم أسوار عنهم وعن مشاغلهم وهموهم . وقد حفظ لنا المتنبي في ديوانه قطعة قالها وهو صبي ـ ولا شـك أنه تعمد إدراجها فيه ـ قدمها الواحدي نقلاً عـن شـرح ابـن جنـي بقولـه: " قـال أيضًـا في صـباه وقـد عذلـه أبـو سـعيد المُخيمِرِي في تركه لقاء الملوك:

أَبــا سَــعيدٍ جنَّــبِ العِتابــا
فــرُبَّ رائــي خطــأٍ صــوابا
فَــإِنَّهُم قــد أكثــروا الحُجَّابــا
وَاســتَوقَفوا لِرَدِّنــا البَوّابــا
وَإِنَّ حَــدَّ الصــارم القِرضــابا
وَالــذابلاتِ السُــمرَ وَالعَرابــا
يرفــعُ فيمــا بيننــا الحِجابــا

هامش ١٣

رأينا أبا الطيب يأخذه الندم حين يرى أنَّ بضاعته تُعرضُ على من لا يستحقها؛ فهذا ما دار بينه وبين ابن جني حين رأى أبو الفتح شعرًا لا ينبغي أن يقال إلا بسيف الدولة فيقول: قرأت ديوان المتنبي عليه، فلما وصلت إلى قوله:

أغالب فيك الشَّوقَ والشَّوقُ أغلب وأعْجَبُ مِن ذا الهجر والوصل أعجب

فلما انتهيت إلى قوله:

لحا الله ذي الدنيا مُنَاخًا لراكب فكلُّ بعيدِ الهم فيها معذبُ

ألا ليت شعري هل أقول قصيدةً ولا أشتكي فيها ولا أتعتَّبُ

وبي ما يذود الشعر عني أقلُّه ولكنَّ قلبي يابنة القوم قُلَّبُ

وأخلاق كافورٍ إذا شئتُ مدحه وإن لم أشأ تُملى علي وأكتبُ

إذا ترك الإنسانُ أهلاً وراءه ويمَّم كافورًا فما يتغربُ

فقلت له : يعزُّ عليَّ أن يكون هذا الشعر في ممدوحٍ غيرِ

سيف الدولة، فقال حذَّرناه وأنـذرناه، فمـا نفـع فيـه الحـذر، ألستُ القائل فيه:

أخا الجود أعطِ الناسَ ما أنت مالكُه ولا تـعـطينَّ النـاس مـا أنـا قـائلُ

فهو الذي أعطاني لكافور بسوء تدبيره وقلة تمييزه.

هامش ١٤

أفاضلُ الناسِ أغراضٌ لذا الزمنِ يخلو من الهمِ أخلاهم من الفِطَنِ

طوَّفت في شعر ه فرأيت أنَّ المآل آل وانتهى بي إلى هذه الزفرة التي أحسب أنها أصدقُ زفرةٍ نفثها رحمه الله واختصر بها مسيرته، وهي أصدق ما يمكن أن نقول عنها بأنه يحدث بها عن نفسه وعما يصيبها من انكسارات، وفواجع وحوائل حالت بينه وبين مراداته.

و الأغراض هي ما يُجعل أهدافًا للرماة يصوِّبون إليها سهامهم، وأخلاهم من الفِطَنِ: أبعدهم عن التفكُّر بالعواقب، وهي من الخُلُو ، وذلك لهوان نفوسهم عليهم فلا يُمِضِّهم ويكدر حياتهم ما يصيبهم من احتقارالخلق لهم لاعتيادهم على هذا، ولا يتألمون لحال السوء التي عليها الناس ، فكأنه جعل كرام الخلق الذين هو منهم

أهدافًا فتتخطى المصائب غيرَهم إليهم، وأمَّا أغمار الناس ودهماؤهم فلا يوجعهم ما يصيبهم من رشقها، إما أنها مدفوعةٌ عنهم أوأنهم من باب قوله هو أيضا:

ومن يهن يسهل الهوان عليه ما لجرحٍ بميتٍ إيلامُ

فلا تتألم نفوسهم لاعتيادها على الذل والهوان.

هامش١٥

ولأنَّ أبا الطيب يخاطب الأذهان ويُحدِّثُ عن الخواطر فقد وجدنا الناس يتمثلون له بالبيت والبيتين ، ويقلُّ أن يتمثلوا بقصيدة أوقطعةٍ من قصيدة؛ فالحديث عن الخاطر تبعثه الإشارة وتغنيه بخلاف الحديث عن الوجدان الذي لا ينتصب ولا يلتذُّ إلا بعد إثارة أطول، ولم يخلُ شعره من الإيحاء الوجداني، وللإيضاح بمثال فإنَّ النَفَس الوجداني عند أبي الطيب يتراءى في ثنايا شعره، فيدخل ضمنًا، فهو لم يُحرم هذا النَفَس، إلا أنَّه لم يُعرف به لأنَّه يشاركه غيره فيه، بخلاف الحديث عن الخواطر الذي عُرف بها وأجادها بما لم يُسبق ولم يُلحق، فمن شعره الوجداني قوله في مطلع قصيدةٍ يمدح بها أبا الحُسينِ ؛ المُغِيثَ بنَ عَلِيٍّ بن بِشْرٍ العِجْلِيَّ العِمِّيَّ

هَـــامَ الفُـــؤَادُ بِأَعرَابِيَّـــةٍ سَـــكَنَتْ بَيْتًـا مِـنَ القَلْـبِ لَـم تَمْـدُدْ لَـهُ طُنُبَـا

مَظْلُومَـةُ القَـدِّ فِـي تَشـبِيهِهِ غُصُـنًا مَظْلُومَـةُ الرِّيـقِ فِـي تَشـبِيهِهِ ضَـرَبَا

كَأَنَّهَـا الشَّـمْسُ يُعْيِـي كَـفَّ قَابِضِـهِ شُـــعَاعُهَا ويَـــرَاهُ الطَّـــرْفُ مُقْتَرِبَــا

مَـرَّتْ بنَـا بَـينَ تِرْبَيهَـا فَقُلْـتُ لَهـا مِن أينَ جَانَسَ هَذَا الشَّادِنُ العَرَبَا ؟

فَاسْتَضْحَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ : كَالمُغِيثِ يُرَى لَيثَ الشَّرَى ، وهو مِن عِجْلٍ إِذَا انتَسَبَا وهو من عجل إذا إنتسبا.

وقالَ يمدَحُ أبا المُنتَصِر ؛ شُجاعَ الطَّائيَّ:

اليَــومَ عَهْــدُكُمُ فَــأينَ المَوعِــدُ؟ هَيهَــاتَ لَــيسَ لِيَــومِ عَهْــدِكُمُ غَــدُ

المَـوتُ أَقـرَبُ مِخْلَبًـا مِـن بَيـنِكُم والعَــيشُ أَبعَــدُ مِــنكُمُ لا تَبعُــدوا

إِنَّ التِـي سَـفَكَتْ دَمِـي بِجُفُونِهَـا لَـــم تَـــدْرِ أَنَّ دَمِـــي الـــذِي تَتَقَلَّـــدُ

قَالَتْ وقَد رَأَتِ اصفِرَارِي :مَنْ بِهِ ؟ وتَنَهَّـــدَتْ فَأَجَبْتُهَـــا المُتَنَهِّـــدُ

فَمَضَتْ وقَد صَبَغَ الحَيَاءُ بَيَاضَـهَا لَـونِي كَمَـا صَـبَغَ اللُّجَـينَ العَسْـجَدُ

فَرَأيـتُ قَـرْنَ الشَّـمسِ فِـي قَمَـرٍ مُتَـأَوِّدًا غُصْـنٌ بِـهِ يَتَـأَوَّدُ
عَدَوِيَّـةٌ بَدَوِيَّـةٌ مِـن دُونِهَـا سَـلْبُ النُّفُـوسِ ونَـارُ حَـرْبٍ تُوقَـدُ
أَبْلَـتْ مَودَّتَهَـا اللَّيَـالِي بَعْـدَنَا ومَشَـى عَلَيهَـا الـدَّهرُ وهـو مُقَيَّـدُ
أَبْرَحْتَ يَا مَرِضَ الجُفُونِ بِمُمْرَضٍ مَـرِضَ الطَّبِيـبُ لَـهُ وعِيـدَ العُـوَّد

وقالَ يمدَحُ الحُسينَ بن عليٍّ الهَمْدَانيَّ

لَقَدْ حَـازَنِي وجْدٌ بِمَـنْ حَـازَهُ بُعْدُ فَيَـا لَيتَنِـي بُعْـدٌ ويَـا لَيتَـهُ وَجْـدُ
أُسَرُّ بِتَجْدِيدِ الهَوى ذِكْـرَ مَـا مَضَـى وإِنْ كَانَ لَّا يَبْقَى لَـهُ الحَجَرُ الصَّـلْدُ
سُـهَادٌ أَتَانَـا مِنـكِ فِـي العَـينِ عِنْـدَنَا رُقَـادٌ وقُـلَّامٌ رَعَـى سَرْبُكُـم وَرْدُ
مُمَثَّلَـةٌ حَتَّـى كَـأَنْ لَـمْ تُفَـارِقِي وحَتَّى كَأَنَّ اليَأْسَ مِن وصْلِكِ الوَعْدُ
وحَتَّـى تكَـادِي تَمْسَـحِينَ مَـدَامِعِي ويَعْبَـقُ فِـي ثَـوبَيَّ مِـن رِيحِـكِ النَّـدُّ
إِذَا غَـدَرَتْ حَسْـنَاءُ أَوفَـتْ بِعَهْـدِهَا ومِـن عَهْـدِهَا أَلَّا يَـدُومَ لَهَـا عَهْـدُ
وإِنْ عَشِـقَتْ كَانَـتْ أَشَـدَّ صَـبَابَةً وإِنْ فَرِكَتْ فَاذْهَبْ فَمَا فِرْكُهَا قَصْدُ

وإِنْ حَقَـدَتْ لَـمْ يَبْـقَ فِـي قَلْبِهَـا رِضًا وإِنْ رَضِيَتْ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهَا حِقْدُ
كَــذَلِكَ أَخْــلَاقُ النِّسَــاءِ ورُبَّمَــا يَضِلُّ بِهَا الهَادِي ويَخْفَى بِهَا الرُّشْدُ
ولَكِنَّ حُبًّا خَامَرَ القَلْبَ فِي الصِّبَا يَزِيــدُ عَلَــى مَــرِّ الزَّمَــانِ ويَشْــتَدُّ

قال في اللامع العزيزي : القلام: ضرب من الحمض، وبعض الناس يقول: هل القاقى، وأنشد أبو عمرو الشيباني: [الطويل]

أتوني بقلامٍ فقالوا تعشه ... وهل يأكل القلامُ إلا الأباعر

والسرب: المال الراعي، والورد هذا المشموم، يقال: إنه ليس بعرا

الشعراء الجاهليون لديهم من بديع الوصف ما يُطرب ويهتزله الوجدان، وخاصة ما جرى به لسان امرئ القيس وما جرى على لسان الشنفرى في لا ميته؛ وفي الشعر

الجاهلي من بديع وصف الرحلة وإنضاء الراحلة ما يشبع الذوق كما جرى به لسان لبيد رضي الله عنه، وفي شعر زهير من الحكمة ما يغذِّي العقل، ومع كل هذا لم يظفر أيٌ من هؤلاء الشعراء بما ظفر به المتنبي وهذا مما أثار القول بالخبيئة.

الفرزدق وجرير الفحلان المتصاولان ـ رحمهما الله ـ لم يظفرا بمنزلة المتنبي؛ فالأمر عندي في بقاء الذكر لا يمكن عزوه أو قصره على أبكار المعاني ، مع أنَّ عنده قدرةً عجيبة على صياغة معاني الناس وما يريدون أن يحدثوا به صياغة تجلب الرضى للقارئ والسامع، فقد أُلهم خواطر الناس كما مر من قول القاضي الفاضل رحمه الله ومُنح القدرة على إبداع القول بحروف ترضي وتشبع رغبة القارئ ، فلا يمكن أن يُعزى هذا إلى محض الموهبة

الشعرية وتفوقه فيها، ولا أن يعزى إلى أنه حظي بمكانة عند الـولاة والأمـراء؛ فلـيس أحظـى مـن جريـر والفـرزدق والأخطـل، ولا مـن أبـي تمـام والبحتـري، ولا يعـزى إلـى الحظ فقط وأعيد ما قلت من أنّ الأمر وقـع لخبيئـةٍ وُهِـب إياها هذا الرجل.

وإلى الله مردُّ الأمر

من لطائف الموافقات

من لطائف الموافقات الخاصة بيني وبين أبي الطَّيب أنَّ بين مولده ومولد جدي" عمر بن عبدالرحمن بن محمد بن عمر العُمَري"ألف عام، وبينه وبين وفاته ألف عام أيضًا؛ فقد ولد أبو الطيب ٣٠٣هـ وتوفي ٣٥٤هـ، وجدي ولد ١٣٠٣هـ وتوفي ١٣٥٤هـ، وبين التحاقه بسيف الدولة٣٣٧هـ وبين ولادة والدي ١٣٣٧هـ ألف عام رحم الله الجميع.

اللهم اجعل هذه الحروف بركة على كاتبها وقارئها وكلِّ من عُني بها وكلِّ من جاء له ذكر فيها.رحم الله الجميع رحمة واسعة

المراجع

١ـ الفسر شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي.

٢ـ الخصائص لابن جني.

٣ـ الكشف عن مساوئ شعر المتنبي .

٥ـ يتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي .

٦ـ رسالة الغفران لأبي العلاء .

٧ـ كتاب المآخذ على شُرَّاح ديوان أبي الطيب المتنبي.

٨ـ شرح الواحدي لديوان المتنبي .

٩ـ مسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني .

١٠ـ تفسير البغوي.

١١ـ البداية والنهاية.

١٢ـ مقدمة ابن خلدون.

١٣ـ "كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم"

١٤ـ الواضح في مشكلات شعر المتنبي، لأبي القاسم الأصفهاني.

١٥ـ شرح أبي البقاء العكبري لديوان المتنبي .

١٦ـ الصبح المنبي.

١٧ـ قلب كافوريات المتنبي من المديح إلى الهجاء .

١٨ العرف الطيب في شرح ديوان المتنبي .

١٩ نظرة إجمالية في حياة المتنبي .

٢٠ ـ ذكرى ابي الطيب بعد ألف عام.

٢١ـ مع المتنبي.

٢٢ـ أبو الطيب المتنبي .

٢٣ـ رائد الدراسات الأدبية عن المتنبي .

٢٤ـ المتنبي/ لمحمود شاكر.
٢٥ـ أمثال المتنبي وحياته بين الأمل والألم]
٢٦ـ " المثال والتحول آراء ودراسات في شعر المتنبي وحياته .
٢٧ـ أبو علي الفارسي في مصنفات ابن جني .
٢٨ـ الشعراء الثلاثة .
٢٩ـ أضواء جديدة على نبوة المتنبي.
٣٠ـ مجلة الرسالة. ١٦١ـ ١٦٢ـ ١٦٧ـ ١٧١ـ.١٧٢
٣١ـ المتنبي والقرامطة"
٣٢ـ الديوان .
٣٣ـ الشخصية الإسلامية في شعر المتنبي.
٣٤ـ مجلة اللغة العربية وآدابها جامعة الكوفة.
٣٥ـ شرح ديوان الهذليين.
٣٦ـ ديوان جرير.
٣٧ـ ديوان البحتري.

٣٨ـ ديوان أبي تمام.

٣٩ـ ديوان أبي الحسن التهامي.

٤٠ـ " الشعر والنبوة/ أبو الطيب المتنبئ بالشعر.

٤١ـ دار الرسيس للنشر والتوثيق الإلكتروني "، مجلة أدبية شعر قصة مقال.

٤٢ – مجلة" أوراق فلسفية " العدد التاسع يناير٢٠٠٤م

٤٣ـ ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه.

٤٤ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر.

٤٥ـ سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون.

٤٦ـ موازنة بين الحكمة في شعر المتنيي والحكمة في شعر أبي العلاء.

٤٧ – شرح ديوان المتنبي للجرجاني.

وفي الختام:

هذا ومما جعلته سنةً أختم بها مؤلفاتي الدعاء لوالديَّ ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا اللهم تغمدهما بواسع رحمتك وأسكنهما جنتك واجمعنا بالفردوس في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر واغفر لكلَّ من له حق عليهما

الفهرس

وما أحسبني رأيت أحدًا يتناكر فضل هذا الرجل وقتًا من زمان إلا وشاهدته بعد ذلك قد رجع عنه, وعاد إلى تفضيله.. قال إنه ليغيظني أمر هذا المتنبي واجتهادي في أن أخمد ذكره وقد ورد علي نيفٌ وستون كتابًا في التعزية ما منه إلا وقد صًدر بقوله ... فالحديث عن الخاطر تبعثه الإشارة وتغنيه بخلاف الحديث عن الوجدان الذي لا ينتصب ولا يلتذُّ إلا بعد إثارة أطول....لأنَّ البيت الرابع هو الذي أوحى بمعنا البيت الخامس , فالشاعر ينطق عن معانِ متوهجة في خاطره ووجدانه, وهذا يُعين على تلمُّس الوحدة الموضوعية للقصيدة, وهومن وقاعد تتبعها... طرب الذهن ينبعث لمعنى عقلي وطرب الوجدان ينبعث لمعنى جمالي... فليست الخبيئة مما استقرَّ في الذهن , وإنما هي لائح لاح في الخاطر فأحببت أن أتحقق نفيه أوإثباته...